البحث الخامس

مقومات العالم الإسلامي وسُبُل تنميتها

إعداد

د/ إبراهيم منصور أحمد منصور

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

مقومات العالم الإسلامي وسُبل تنميتها

إبراهيم منصور أحمد منصور
قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر
البريد الالكتروني: IbrahimMansour١٣٣@azhar.edu.eg

الملخص:

تسعى الأمم القوية لبناء حاضرها واستشراف مستقبلها على أساس من تاريخها وأحداثها التي خطت أثرها في تشكيل هذا الواقع، محاوِلَة من ذلك البحث عن حقيقة وجودها، وبذرة نموها، ومكامن قوتها، وعوامل استقرارها، لتتعهدها بالنماء والتوجيه؛ حيث لم تقم أمة من الأمم على قطع العلاقة بين أمسها ويومها ومستقبلها، بل إنها تعود خطوات لتستلهم الظروف التي شكلت وعيها وأصلبت عودها، كي تجعل منه زادًا لخوض الواقع بكل جدارة وجسارة، يهدف البحث للكشف عن مقومات قوة العالم الإسلامي ونقاط تميزه الطبيعية، من حيث موقعه بين قارات العالم، وما وهبه الله تعالى من طاقات هائلة تؤهله لإثبات ذاتيته وإنجاح رسالته وتحقيقه للسلام العالمي، وقبل هذا حفاظه على أمن واستقرار شعوبه الذين يقطنون تلك البقعة من العالم، كما يهدف إلى الوقوف على موقع العالم الإسلامي ومركزيته بين دول العالم وأهميته بالنسبة لخريطة العالم، وكذا معرفة الطاقات والموارد الطبيعية والبشرية والروحية التي يتميز بها العالم الإسلامي، بالإضافة إلى بيان أهمية وتنوع مصادر القوة في العالم الإسلامي، واستنباط سبل تنمية الطاقات والإمكانات التي يمتلكها؛ ليتبوأ مكانته السامية المناسبة لعِظَم رسالته التي يحملها، وقد اعتمد البحث بشكل أساسي على المنهج الوصفي والتحليلي، وذلك عند الكشف عن موقع العالم الإسلامي والطاقات المبثوثة فيه، وتحليل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والروحية المرتبطة بتلك الطاقات وآثار استغلالها على الوجه الأمثل، بالإضافة

إلى المنهج الاستنباطي الذي يضع خطة للمحافظة على هذه الموارد وتنميتها، بما يضمن حاضرا مشرقا ويستشرف مستقبلا أكثر قوة وتميزا للعالم الإسلامي وشعوبه، وقد خلص البحث إلى أن المقومات الطبيعية للعالم الإسلامي تشكل قوة عظمى بين الأمم، عند التنسيق بين الدول العالم الإسلامي، وأن الطاقات البشرية الهائلة في العالم الإسلامي تمثل عنصر قوة عند وضع الخطط اللازمة للإفادة منها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، كما أن استعادة تأثير العالم الإسلامي في القرارات الدولية مرهون بتنمية مواطن قوته ومنها الجانب الروحي الذي يمد الجوانب الأخرى بما تحتاجه من عناصر للتنمية، أهمها المواطن الصالح المؤثر في محيطه والمتفاعل مع عالمه الذي يعيش فيه.

الكلمـات المفتاحية: العالم الإسلامي، مقومات، الأمة الإسلامية، المجتمع الإسلامي، الدول الإسلامية، المقومات الروحية، الاقتصاد الإسلامي.

Components of the Islamic World and Factors for Its Development

Ibrahim Mansour Ahmed Mansour
Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Propagation in Cairo, Al Azhar University, Egypt
E-mail: IbrahimMansour١٣٣@azhar.edu.eg

Abstract:

Strong nations seek to build their present and anticipate their future based on their history and the events that have shaped this reality, They attempt to explore the truth of their existence, the seeds of their growth, the sources of their strength, and the factors of their stability, in order to ensure their development and guidance. No nation has ever been established without severing the connection between its past, present, and future. Rather, it has taken steps to draw inspiration from the circumstances that shaped its consciousness and strengthened its foundation, In order to make it a provision to face reality with all worthiness and courage, the research aims to reveal the components of the strength of the Islamic world and its natural points of distinction, in terms of its location between the continents of the world, and what God Almighty has given it of enormous energies that qualify it to prove its identity and the success of its message and the achievement of world peace, and before this its preservation of the security and stability of its people who inhabit that part of the world, as it aims to stand on the position of the Islamic world, Its centrality among the countries of the world and its importance in relation to the world map, as well as knowledge of the natural, human and spiritual energies and resources that characterize the Islamic world, in addition to clarifying the importance and diversity of sources of power in the Islamic world, and deducing ways to develop the

energies and capabilities that it possesses; to assume its lofty position appropriate to the greatness of the message that it carries. The research relied mainly on the descriptive and analytical approach, This is done by revealing the location of the Islamic world and the energies disseminated within it, and analyzing the social, economic, administrative, and spiritual dimensions associated with these energies and the effects of exploiting them in the best possible way, in addition to the deductive approach that sets a plan to preserve and develop these resources, in a way that guarantees a bright present and anticipates a stronger and more distinguished future for the Islamic world and its peoples, The research concluded that the natural components of the Islamic world constitute a great power among nations, when coordination is established between the countries of the Islamic world, and that the enormous human energies in the Islamic world represent an element of strength when developing the necessary plans to benefit from them at the local, regional and international levels, Restoring the Islamic world's influence on international decision-making also depends on developing its strengths, including the spiritual dimension, which provides other aspects with the elements they need for development, most importantly a good citizen who influences their surroundings and interacts with the world in which they live.

Keywords: Islamic world, Components, Islamic nation, Islamic society, Islamic countries, Spiritual components, Islamic economy.

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر، وأشهد أن سيدنا ومعلمنا محمدا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، والملائكة المكرمون وعباد الله الصالحون، وبعد..

فإن أحوال العالم المعاصر وما فيه من أحداث ووقائع متسارعة، تدفع الغيورين على رسالة الإسلام والمفكرين المهتمين بشؤون الإنسانية واستقرار أمورها، إلى دراسة مجتمعاته ومواطن القوة المؤثرة في أحداثه ومصائر الشعوب، في خطوة لتحقيق السلام العالمي والألفة بين الشعوب.

ولا شك أن العالم الإسلامي، كان ولا يزال، يمثل موضوعا لدراسات الباحثين في الشرق والغرب، كونه يضم بقعة ثرية من العالم، ويحتل أجواءَ شاسعة مترامية الأطراف، بما فيه من تنوع حضاري وثقافي، وما فيه من موارد، كانت مطمعا في كثير من الأحيان لمآرب المستعمرين، فوجهوا أنظارهم تارة للتعرف على خيراته وكنوزه وطبيعة شعوبه بهدف البحث والمعرفة المجردة، وتارة أخرى لتيسير الاستيلاء على تلك الموارد، وتزييف وعي أبنائه، في محاولات كثيرة بهدف السيطرة على مقدَّرات تلك البقعة المهمة من العالم.

بيد أن العالم الإسلامي قد وهبه الله تعالى من عوامل القوة والمنَعَة ما يجعله يواصل رسالته التي أنيطت به بين الأمم، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] يشهد بذلك تاريخه التليد وحضارته الإنسانية التي زها بها على العالم كله، في وقت كانت المجتمعات الأخرى ترسف في أغلال التخلف، وتعيش على هامش التاريخ، إن لم تكن خارجه لا يُعرَفُ لها أثر، ولا يُسطَّر لها مجْد.

وإذا أمعنا النظر في الحاضر الذي نعيشه والأحداث التي يحفل بها، يتضح لنا جليا

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١١٠

الترابط الوثيق بين أحداث الأمس وتأثيرها في أحداث اليوم، ومن ثم تأثير اليوم في أحداث الغد...وهكذا، في سلسلة مترابطة.

وإن الدراسة لحاضر العالم الإسلامي، وما يملكه من مؤهلات، إنما تنطلق من توجيهات الإسلام القاضية بضرورة تَبَصُّر الخُطى واستشراف المستقبل، وتحديد العوامل المؤثرة في هذا الحاضر، ورصد التحديات تمهيدا لإيجاد حلول عملية لها؛ نفهم هذا في إطاره العام وسياقه الكلي من قول الله تعالى ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1]

ومن هنا، فالأمم النابهة هي التي تسعى لبناء حاضرها واستشراف مستقبلها على أساس من تاريخها وأحداثها التي خطت أثرها في تشكيل هذا الواقع، محاوِلَة من ذلك البحث عن حقيقة وجودها، وبذرة نموها، ومكامن قوتها، وعوامل استقرارها، لتتعهدها بالنماء والتوجيه؛ حيث لم تقم أمة من الأمم على قطع العلاقة بين أمسها ويومها ومستقبلها، بل إنها تعود خطوات لتستلهم الظروف التي شكلت وعيها وأصلبت عودها، كي تجعل منه زادًا لخوض الواقع بكل جدارة وجسارة.

يأتي هذا البحث ليكون بمثابة مشعل أمل، يبث الروح ويجدد الرجاء في أرجاء البلاد الإسلامية، ينبه القارئ؛ ويفتح له آفاقا من طاقات الأمة وضرورة سعيها لاستعادة قدرها اللائق بها بين الأمم في العصر الحالي، وذلك من خلال مباحثه ومطالبه المبثوثة على صفحاته.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- ثراء البقعة التي يقع فيها العالم الإسلامي، والأمة الإسلامية، وما ارتبط بهما من أحداث.

٢- الأهمية السياسية للعالم الإسلامي والموقع الجغرافي.

٣- المقومات الذاتية للعالم الإسلامي؛ والتي تستدعي الكشف عنها والعمل على تنميتها.

٤- تنوع الموارد والطاقات المادية والروحية للعالم الإسلامي؛ مما جعلها مجالا

(١) سورة الحشر، من الآية: (١٨).

لموضوعات الباحثين في الشرق والغرب؛ للكشف عن الطاقات والأسرار الكامنة في تلك البقعة المميزة من العالم.

٥- خطورة الفرقة والتحزب الذي ينتاب بعض المجتمعات الإسلامية؛ مما يضعف الروح العامة ويبدد طاقات العالم الإسلامي في صراعات لا طائل من ورائها.

أهداف البحث:

يهدف البحث ـ من خلال مباحثه ومطالبه ـ لتناول النقاط التالية:

١- الوقوف على موقع العالم الإسلامي ومركزيته بين دول العالم وأهميته بالنسبة لخريطة العالم.

٢- معرفة الطاقات والموارد الطبيعية والبشرية والروحية التي يتميز بها العالم الإسلامي.

٣- إلقاء الضوء على أهمية وتنوع مصادر القوة والتميز في العالم الإسلامي.

٤- إدراك الآثار الإيجابية لتقدم العالم الإسلامي، في ضوء المقومات التي يمتلكها.

٥- استنباط سبل تنمية الطاقات والإمكانات التي يمتلكها العالم الإسلامي؛ ليتبوأ مكانته السامية المناسبة لعِظَم رسالته التي يحملها.

تساؤلات البحث:

يجيب البحث عن عدة تساؤلات أبرزها:

١- ما موقع العالم الإسلامي ومكانته على خريطة العالم؟

٢- ما أبرز المقومات الطبيعية والاقتصادية والبشرية والروحية للعالم الإسلامي؟

٣- كيف يستثمر العالم الإسلامي تلك المقومات لتعزيز مكانته بين الدول؟

٤- ما الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للتنسيق بين دول العالم الإسلامي؟

الدراسات السابقة:

اعتنت الدراسات المعاصرة كثيرا بدراسة الأحوال المعاصرة للعالم الإسلامي أو ما

يعرف في الأوساط الأكاديمية بـ (حاضر العالم الإسلامي)؛ ودراسة أحوال شعوبه المنتشرة في تلك البقعة المميزة من العالم، أو التي تعيش في أوساط وثقافات متنوعة، في ظل سيادة المواطنة والتمتع بالحقوق والواجبات الدولية المقررة لكل بلد، إلا أن بعضها اهتم بموضوعات متفرقة لها دلالتها وغايتها من تناول أحوال الشعوب.

ومن الدراسات التي لها صلة بالبحث:

كتاب (العالم الإسلامي اليوم) لمؤلفه الأستاذ المؤرخ/ محمود شاكر، مؤرخ سوري، وهو غير الأديب محمود شاكر المصري المشهور بأبي فهر، والكتاب يقع في مائة وست صفحات من القطع الصغير، يعرج فيه على أحوال العالم الإسلامي مؤخرا وما ناله من القوى الاستعمارية، ويؤكد فيه على العوامل التي يجب أن يلتف حولها أبناء العالم الإسلامي لاستعادة وحدتهم وتأثيرهم.

ولعل الكشف المستمر عن خصائص تلك البقعة المميزة وخصائص سكانها وأحوالهم المعيشية والاقتصادية والإدارية... وغيرها، من الأهمية بمكان، كخطوة في سبيل استشراف مستقبل الأمة الإسلامية والشعوب التي تعيش في تلك البقعة، مع مزيد من التحولات والأحداث التي تشهدها هذه البلاد.

حدود البحث:

يقتصر البحث على كشف اللثام عن طاقات العالم الإسلامي، التي تؤهله للتأثير في سيادته وقراراته المصيرية، إزاء التقلبات العالمية والتحولات الجيوسياسية المعاصرة، مع استنباط كيفية تنميتها وربط الباحثين بضرورة الكشف المستمر عنها.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المناهج الآتية:

١ – **المنهج الوصفي التحليلي:** وهذا المنهج عبارة عن (أسلوب من أساليب التحليل المركزي لمعلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية

معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة)(١).

٢- **المنهج الاستنباطي:** والمقصود بهذا المنهج (انتقال الذهن من قضية أو عدة قضايا مسَلَّم بصحتها إلى قضية أو قضايا أخرى هي نتيجة، وفق قواعد المنطق، ودون التجاء إلى التجربة)[٢]

خطـة البحث:

يتضمن البحث مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، بيانها كالتالي:

المقدمة: تضم أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وحدوده وخطته.

والتمهيد بعنوان (تحديد مدلولات مفردات البحث)

المبحث الأول: العالم الإسلامي، الحدود السياسية والموقع الجغرافي.

المبحث الثاني: مقومات العالم الإسلامي.

المبحث الثالث: سبل تنمية مقومات العالم الإسلامي.

ثم الخاتمة، متضمنة أبرز النتائج والتوصيات، تليها قائمة بالمصادر والمراجع، ثم فهرس البحث.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، (١٨٣) دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط. أولى ٢٠٠٠م.

(٢) منهج البحث في العلوم الإسلامية، د/ محمد الدسوقي، ص ١٠١ دار الأوزاعي ط. أولى ١٩٨٤م.

التمهـــيد
تحديد مدلولات مفردات البحث

التنقيب عن دلالة المفردات العربية في معاجم اللغة والموسوعات الاصطلاحية، يهدف إلى ربط المعاني بالمفردات الموضوعة لها دون مزايدة أو إقحام، كما أنه يكشف عن التطور الدلالي والحضاري للاستعمال اللغوي، فضلا عن تنوع الخلفيات الثقافية والحضارية المؤثرة في بعض التصورات والمفاهيم، وهو ما ينطبق على بعض مصطلحات البحث؛ لذا أقوم بالتعريج على المصطلحات الآتية، وسياقاتها اللغوية والاصطلاحية، المؤثرة في بعض التصورات والمفاهيم، لذا أقوم بالتعريج على المصطلحات الآتية، وسياقاتها اللغوية والاصطلاحية.

(المقومات، العالم الإسلامي، السبل، التنمية)

١ـ المقومـــات:

تشير الاستعمالات اللغوية المعاصرة إلى أن كلمة "مقوم" يُقصَد بها . في بعض معانيها. (كل ما يتألف أو يتركب منه جسم أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسية تسهم في قيامه ووجوده وفاعليته "مقومات الحياة، الجمال– المقومات العمرانية) [١] أي أنها تعني العناصر المهمة التي لا يمكن تصوُّر الشيء بدونها، فإذا فُقدت كلُّها أو بعضُها، زال جوهر الشيء الذي يتألف منه.

واستعمال مفردة "مقومات" بهذه المعاني آنفة الذكر، تنطبق تماما على موضوع البحث، إذ فيه كشف عن العناصر التي وهبها الله تعالى للعالم الإسلامي سواء أكانت طبيعية أم بشرية، وما يتفرع عن هذه العناصر ويرتبط بها كالزراعة والصناعة والأيدي

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، ج٣ ص١٨٧٩، عالم الكتب، ط. أولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

العاملة والتكنولوجيا.. وغيرها.

٢ـ العـالم:

(العالم لغة ما يُعلم به الشيء، وعُرفًا: كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه تعالى يعلم به من حيث أسماؤه وصفاته، والعالَم عالمان: كبير وهو الفَلك وما حواه من جوهر وعرض، وصغير: وهو الإنسان لأنه مخلوق على هيئة العالم، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير). (١)

وهذا التعريف يتحدث عن طبيعة الموجودات التي خلقها الله تعالى في الكون.

أما كلمة "العالم" في اصطلاحها الجغرافي، فإنها (تتعلق عامة بالكرة الأرضية، وكان مفهوم العالم عند القدماء محدداً بنصف الكرة الذي يشمل أوروبا وآسيا وأفريقيا، وعندما اكتشفت أميركا أُطلِقَت تسمية العالم القديم على القارات الثلاث التي عرفناها، وأطلقت تسمية العالم الجديد على أميركا بعد اكتشافها). (٢)

وعند إضافة "العالم" إلى "الإسلام" فإنه يصبح مركبا له دلالته الخاصة، التي تنطبق على تلك البقعة المخصوصة من كوكب الأرض، التي يجمعها رابط العقيدة الإسلامية، فليس المقصود ـ لدى دارسي العالم الإسلامي جغرافيا ـ بقعة مجردة من الأرض كمثيلاتها من بقاع العالم المختلفة، وإنما بقعة جغرافية لها علاقة وطيدة بـ (دراسة الإسلام في ذاته من حيث هو ظاهرة في المكان له توزيعه وامتداده الجغرافي الخاص في "اللاندسكيب" وعلاقاته الإيكولوجية معه، ومن حيث هو عامل مؤثر في إقليمه وفى تشكيل تاريخه وحياة سكانه وتكوين أو تلوين وجه النشاط البشرى أو العلاقات الاجتماعية فيه، بما في

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية ص ٤٩٦ دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت دمشق، ط. أولى ١٤١٠ هـ.

(٢) معجم المصطلحات الجغرافية، بيار جورج، ترجمة د. حمد الطفيلي، مراجعة هيثم اللمع، ص٥٥٨ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٣م، بدون رقم طبعة.

ذلك على الأخص الجوانب السياسية الداخلية وتوجيه السياسة الخارجية والمشاكل الدولية)[١]

وتُعرِّف الموسوعة البريطانية (Britannica) العالم الإسلامي بأنه: "المجتمعات والأمم التي اعتنقت الإسلام كدين رئيسي، والتي تشترك في التراث الثقافي والقانوني المستمد من الشريعة الإسلامية والتاريخ المشترك." [٢] فهذه إشارة إلى الروابط الدينية والثقافية التي تجمع الشعوب المنتمية إلى الإسلام، بصرف النظر عن توزيعهم الجغرافي أو نسبة السكان في البقعة التي يقطنون فيها.

٣ـ السُّبل:

السبل جمع، والمفرد منها: السبيل، وقد ورد في تاج العروس (السَّبِيلُ، والسَّبِيلَةُ، وهذه عن ابنِ عَبَّادٍ: الطَّرِيقُ، وما وَضَحَ منه، زادَ الرَّاغِبُ: الذي فيه سُهُولَةٌ..) [٣] أي وهذا المعنى هو المقصود في البحث، وهو معرفة الطرق السهلة الواضحة التي لا يكتنفها غموض في حسن استثمار وتوظيف مقومات العالم الإسلامي المتنوعة.

٤ـ التنمية: يشير الفعل "نمى" في اللغة العربية إلى الزيادة والكثرة، (يقال أنميت الشيء ونميته: جعلته ناميا)[٤]. وهذا المعنى هو المراد في البحث؛ إذ المقصود العمل على زيادة موارد ومقومات العالم الإسلامي وحسن إدارتها وتعظيم الاستفادة منها.

---

(١) العالم الإسلامي المعاصر، د. جمال حمدان، ص٦ عالم الكتب، ط. أولى ١٩٧١م

(٢) الموقع الرسمي للموسوعة البريطانية . مصطلح العالم الإسلامي . على الرابط

https://www.britannica.com/topic/Islamic-world

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، ج٢٩ ص ١٦١ دار الهداية د.ت أو رقم طبعة.

(٤) لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي المصري (١٥/ ٣٤١) دار صادر بيروت، ط. ثانية د.ت.

مـــدخـــــل:

يمضي عالمنا المعاصر إلى اتجاه تكوين التكتلات والقوى، وذلك في إطار التعاون بين الدول؛ لتحقيق تطلعات التنمية والحاجيات المتجددة للشعوب، ومع بزوغ هذا التوجه، نجد أن هذه التكتلات أخذت (أشكالاً متعددة في العالم المحيط بنا، فهناك تكتلات بين الدول وتكتلات بين القوى داخل الدول، وهناك تيارات ومؤسسات تتعامل بمنطق التكتل والتكامل: محليا أو إقليمياً أو عالمياً.

فعالمياً وعلى المستوى السياسي والاقتصادي؛ نشأ العديد من أشكال التكتل والتجمع، فقد شكل الأوربيون الاتحاد الأوربي، الذي جاء نتاج عملية تعاون واندماج، بدأت عام ١٩٥١م، بست دول، وظلت تتسع الأعداد المنضمة لهذا الاتحاد حتى بلغت ٢٧ دولة تتعاون فيما بينها على أسس ثلاث:

أولها: وحدة المجتمع الأوربي، بما في ذلك وحدة السوق والعملة. **وثانيها:** وحدة المصالح السياسية الخارجية والدفاعية، أما الأساس **الثالث:** فهو التعاون في المجال الأمني والشؤون الداخلية).[١]

والعالم الإسلامي واحد من تلك البقاع المتمايزة جغرافيًا، فله خصائصه ومقوماته التي ترشحه لأن يكون في صدارة القوى على المستوى الدولي.

فأين يقع هذا العالم الإسلامي؟ وما أبرز المقومات التي يمتلكها؟ وما نصيبه من الموارد والإمكانات التي تُقَاس بها معايير القوة؟

---

(١) العالم الإسلامي آفاق النهضة وعوامل البناء، تقرير ارتيادي سنوي يصدر عن مجلة البيان، الإصدار الرابع ١٤٢٨هـ، بحث بعنوان: ما بعد الحزبية، من فقه الضرورة في العمل الإسلامي، عبد العزيز كامل، ص٤٢١ بتصرف يسير

المبحث الأول
العالم الإسلامي الحدود السياسية والموقع الجغرافي

قبل الخوض في تحديد ماهية العالم الإسلامي وموقعه جغرافيا، يحسن بنا أن نقف على الفرق بين مدلول (الأمة الإسلامية، والعالم الإسلامي).

وهنا نشير إلى وجود تمايز بين المصطلحين ومدلولهما؛ حيث يشير مفهوم (الأمة الإسلامية) إلى كل من آمن بالإسلام وقَبِلَ دعوة النبي ﷺ، حتى وإن نأت به الأوطان، ولم يعش في دولة إسلامية، كحال كثير من المسلمين الذين يعيشون في الغرب، لكنه بانتمائه للإسلام، يحس بهذا الرباط القلبي والتضامن الشعوري والمعيار العقدي، الذي يجعله عضوا ضمن جسد الأمة الممتد، يتأثر بما يتعاقب عليها من مؤثرات، ويشترك معها في آلامها وآمالها، وقد أشاد الحديث الشريف بهذا التضامن الشعوري بين المسلمين، على تنوع أماكنهم ومواطنهم وأجناسهم وأعراقهم، ففي الحديث الشريف عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[1]".

أما (العالم الإسلامي) فهو اصطلاح جغرافي حديث، تَشَكَّل مع التطور المعاصر، ليشير إلى مجموعة من الدول، لها خصائصها الطبيعية والجغرافية، ويشترط البعض أن يكون الإسلام هو دين الأكثرية من السكان . وإن كانت هناك معايير مختلفة نسبيا لهذا التصنيف . لتكون الدولة مندرجة ضمن حدود هذا العالم الإسلامي.

---

(١) متفق عليه: أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ٨/ ١٠ برقم (٦٠١١) دار طوق النجاة ط. أولى ١٤٢٢هـ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٢٠/٨) رقم ٢٥٨٦ دار الجيل، بيروت، ١٣٣٤هـ، كلاهما من حديث النعمان بن بشير {. واللفظ للإمام مسلم.

إشكالية التحديد الدقيق لدول العالم الإسلامي جغرافيا:

تواجه دراسة الجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي مسألة اتساعه وامتداده على عدد من البلدان الواقعة خارج دائرة الإسلام، ومسألة عدم ثبات دول العالم الإسلامي من الناحية العددية ونسب المسلمين المئوية غير المؤكدة دوما والتي اتخذت في الغالب أساساً لتعريف الدول الإسلامية. فقبل عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م كان عدد الدول الإسلامية ٤٩ دولة وأصبح ٥٦ دولة، بعد إضافة سبع دول، قد منَّ الله عليها بالتحرر من نير الحكم الأجنبي واستعماره...ومع ذلك فإن الدراسة الجغرافية الطبيعية هذه لا تلتزم بكل هذا، بل تعتمد استمرارية الظواهر الجغرافية الطبيعية وامتدادها خارج حدود العالم الإسلامي إذا اقتضت ضرورة الدراسة ذلك.(١)

الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي:

يقع العالم الإسلامي بين دائرة العرض ٥٥ درجة و٣٠ دقيقة شمالاً المارة بالحدود الشمالية لجمهورية كازاخستان ودائرة العرض ١٣ درجة جنوباً، المارة بجنوبي جمهورية جزر القمر أما بالنسبة لخطوط الطول فإنها تمتد بين ٧ درجة و٤٠ دقيقة غرباً قرب داكار على ساحل المحيط الأطلسي و١٤١ درجة ونيف شرقاً عند الحدود السياسة بين إندونيسيا وبابوا – غينيا الجديدة – وبذا يمتد العالم الإسلامي على أكثر من ١٥٨ درجة طول، أو ما يعادل ٤٣،٨ % من مجموع أطوال الكرة الأرضية منها ٤٠،٣ % شرق غرينيتش و ٣،٦ % منها غربه، وهذا يعني أن الكتلة الأساسية للعالم الإسلامي تقع في النصف الشمالي، من الكرة الأرضية ويابستها قارتي آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوروبا

أما الحدود الجغرافية للعالم الإسلامي وحدود الانتشار الفعلي للمسلمين فلا تتفق مع

---

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الخامس عشر، بحث بعنوان: الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي، د/عادل عبد السلام، ص٥٧ باختصار، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

الحدود السياسية للعالم الإسلامي المعمول بها بحسب نسبة ٥٠ % لأنها . أي الحدود الجغرافية . تشتمل على مناطق ذات كتل إسلامية كبيرة العدد أو أن أكثرية سكانها من المسلمين، كما هو الحال في الصين والهند وشرقي إفريقيا ووسطها وغربيها في البلقان.

وفي ضوء ذلك، تَحُدُّ العالم الإسلامي من ناحية الغرب مياه المحيط الأطلسي بين مضيق جبل طارق وسواحل الجابون قبيل مصب نهر الكونغو، ومن جهة الشمال يحده البحر المتوسط وأوروبا الشرقية والبحر الأسود وروسيا وشمال القوقاز، واستمرارها في سيبيريا ثم منغوليا فالصين في الشمال والشمال الشرقي، وتكمل أراضي الصين مياه المحيط الهادي وأرخبيل الفلبين وبلدان شبه جزيرة الهند الصينية الحدود الشرقية للعالم الإسلامي. أما من ناحية الجنوب فتحده مياه المحيط الهندي بما فيها شبه جزيرة الهند، على اعتبار أن الهند دولة تضم أكبر كتلة إسلامية في دول غير إسلامية حيث تبلغ نسبة المسلمين فيها نحو ١٠ % من مسلمي العالم. وتستمر الحدود الجنوبية في إفريقيا من شمالي مدغشقر وممر موزمبيق فموزمبيق التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٣٠ % فزائير وجنوبي الجابون.[١]

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الخامس عشر، بحث بعنوان: الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي، د/ عادل عبد السلام، ص٥٨، ٥٩، مرجع سابق.

خريطة توضح امتداد دول العالم الإسلامي واتساع رقعته عبر قارات العالم

أبعاد العالم الإسلامي ومساحته:

تقدر مساحة العالم الإسلامي بحدوده السياسية نحو ٣٣,٦٤٧,١٥٧ كيلو متر مربع أي ما يعادل ٦،٦ % من مساحة الكرة الأرضية يابسها ومائها أو ٢٢,٧ % من مساحة اليابسة وحدها، منها أكثر من ١٤,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع في آسيا وأكثر من ١٩,٥٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع في إفريقيا والباقي في أوروبا وتزيد المساحة على ذلك إذا أخذنا بالحدود الجغرافية. وعليه فإن العالم الإسلامي عبارة عن قارة كبيرة لا تفوقها سوى قارة آسيا مساحة واتساعاً، أما من حيث الأبعاد فإن العالم الإسلامي يمتد من الشرق إلى الغرب مسافة تزيد على ١٥٧٣٠ م ومن الشمال إلى الجنوب مسافة ٧٥٤٨كم[١].

ومن خلال التأمل والتحليل لهذه الأرقام ودلالتها يمكن القول (إن الأرقام الكبيرة هذه

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الخامس عشر، بحث بعنوان: الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي، د/ عادل عبد السلام، ص٥٩، مرجع سابق.

تبقى مجردة؛ لكنها تكتسب أهميتها إذا تم تحليلها من خلال خصائص الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي وأهميته من حيث وجوده في قلب العالم القديم بحضاراته وإنسانه القديم ومجتمعاته ومؤسساته وثرواته المادية والروحية والفكرية. وتزداد أهمية الموقع الجغرافي بتنوع بيئاته الجغرافية الطبيعية على امتداد عروض جغرافية ونطاقات مناخية – بيئة متعاقبة من النطاقات الاستوائية حتى نطاقات المناخات المعتدلة والمعتدلة الباردة، وما يقابل ذلك من نطاقات نباتية وحيوانية إضافة إلى ذلك تنوع تضاريس العالم الإسلامي وجيومورفولوجيته[١] وتربته بحيث يشتمل على جميع البيئات التضاريسية تقريبا مثل البيئات الجبلية والسهلية الهضابية والنهرية والصحراوية والساحلية وغير ذلك من جوانب تبرز أهمية الموقع الجغرافي الذي وهبه الله – عز وجل – للعالم الإسلامي، كذلك منح كل من الموقع والاتساع الكبير العالم الإسلامي خاصية التوجه البحري المفتوح بإطلالته على محيطات العالم الكبرى وبحارها بدءاً من مضيق جبل طارق وانتهاء بممرات البحر الإندونيسي.

ولهذا التوجه أهمية كبرى في علاقات العالم الإسلامي بالعوالم المجاورة عبر مياه بحار لا تتعرض للتجمد طوال أيام السنة...كذلك يتمتع العالم الإسلامي من خلال موقعه واتساعه بتوجهات برية تربطه باليابسة الآسيوية والإفريقية والأوربية مما يزيد في قيمة اتصال بيئاته الطبيعية والبشرية والاقتصادية مع البيئات الأخرى برا، وانعكاس ذلك على تنوع أنماط الحياة، وتعدد المجتمعات والأجناس البشرية التي يجمعها رابط الإسلام ويوحد بين أبنائه في مجتمعات ذات سلوك وعادات وأساليب عيش متقاربة).[٢]

وإضافة لما سبق، فإن العالم الإسلامي يتحكم في حركة التجارة البينية بين دول العالم، بما حباه الله تعالى من ممرات ومضايق مائية تنتشر عبر موقعه الذي يتوسط قلب العالم،

(١) كلمة يونانية معناها: علم دراسة شكل الأرض

(٢) المرجع السابق ص٥٩، ٦٠ بتصرف.

ومن هذه المضايق.

١ – مضيق جبل طارق: ويتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر الأبيض المتوسط.

٢– مضيق بنزرت: الذي يحكم اتصال حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي بحوضه الشرقي.

٣– مضيق الدردنيل والبوسفور: وبينهما بحر مرمرة، ويحكمان اتصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود.

٤– قناة السويس: وهي من أهم المنافذ المائية الاصطناعية في العالم، وتحكم اتصال البحر المتوسط بالبحر الأحمر.

٥– مضيق باب المندب وخليج عدن: ويحكمان اتصال البحر الأحمر ببحر العرب والمحيط الهندي، ومضيق باب المندب أو بوابة الدموع لا يزيد اتساعه عن (٣٣) كم) تقسمه جزيرة (ميون) أو (بريم) إلى قسمين: ضيق من جهة الشرق ٣ كم فقط، والباقي من جهة الغرب.

٦– مضيق هرمز وخليج عمان: ويحكمان اتصال الخليج العربي بالمحيط الهندي.

مضيق ملقا وسنغافورة: ويحكمان اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي والمحيط الهادي[١].

إن الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي جعله في بقعة تتوسط خريطة العالم، فأضحت الوسطية سمة مميزة للعالم الإسلامي، ديناً وموقعاً وفكراً[٢]، ومما سبق يتبين سعة وامتداد البقعة الجغرافية، والأهمية الحيوية لموقع للعالم الإسلامي.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د/ جميل عبد الله المصري، ج١، ص٢٩ دار أم القرى ط. ثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي، د/علي جريشة، ص٣١ دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

المبحث الثاني
مقـومـات العـالم الإسـلامي

تقوم الكيانات المتمايزة في العالم المعاصر على عدة عوامل ترشح لها الاستمرار والمضي بقوة في ترسيخ مكانتها وتحقيق رسالتها، خاصة في الوقت الحالي الذي يعتبر القوة بشتى أبعادها، هي المعيار الأبرز في العلاقات والتحالفات والشراكة بين الدول والقوى العظمى.

وبالنظر إلى مصادر القوة التي تتكامل على أساسها دول العالم الإسلامي، نجد أنها تتنوع لتشمل المقومات الثقافية والفكرية، كما أنها تمتد لتشمل المقومات المكانية والموارد الطبيعية، والقوة البشرية التي ميّز الله تعالى بها هذه المنطقة، وكلما تنوعت وتوطدت وتمازجت هذه العوامل كان ذلك دافعا لقوة وتمايز هذا الكيان.

يمتلك العالم الإسلامي من المقومات ما يرشحه لإحراز التنافس بين الدول والكيانات المستقلة، في شتى المجالات، فالوفرة في الموارد وتنوع المناخ والبيئة الجغرافية، والتركيبة المتنوعة للسكان، تكسب هذه البقعة المتميزة من العالم كونها منطقة جاذبة تتوجه إليها الأنظار، وفي أحيان كثيرة الأطماع الخارجية، كما أن العنصر البشري ووفرة الأيدي العاملة والعقول المتميزة المفكرة، كانت ولا تزال ميزة أكبر تنضم لما سبق من المؤهلات، ولعل الأهم في هذا الإطار، ما تملكه الأمة الإسلامية من عوامل روحية وطاقات فكرية، هي السر الكامن في عصب هذه المجتمعات، وقدرتها على صنع الحضارة كلما الْتف حولها المسلمون، وإنها الجذوة الروحية التي تتركب فيها سائر العناصر والمقومات لينشأ على ضوئها مجتمعات إسلامية قوية؛ تستفيد من المقومات الطبيعية والبشرية وفق توجيهات مُثلَى وخطط راشدة.

على أن الهدف من التركيز على العلاقة بين عوامل قوة العالم الإسلامي، هو إيجاد دافع من الحس المشترك الذي يقوي الروابط بين شعوب العالم الإسلامي المترامي

الأطراف، والقدرة على استيعاب متطلبات السكان، والمنافسة مع الدول الأخرى، لتحقيق التكامل الداخلي بين أقطار العالم الإسلامي، والتجانس الفكري والروحي، الذي هو في الأساس مصدر لكل قوة، ودافع لكل بناء وتقدم.

وإبراز هذه العوامل إنما يهدف ـ في المقام الأول ـ للتعرف على القوة الكامنة الموجودة داخل العالم الإسلامي، وبيان واقع استفادة الدول وتعزيزها لتلك المصادر؛ تمهيدا لاستمرار تنميتها، والبدء في وضع خطط لاستثمار المهمل منها، وتوجيه الأبصار إلى ضرورة تثمير تلك القوة، والاهتمام بالجديد منها، في ظل تلاحق التطورات وتغير مفاهيم ومعايير قوة الدول.

وفيما يلي نعرض لهذه المقومات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
المقومـات الفكرية والروحية

لعل الأمم جميعها تتشابه في امتلاك أنصبة متفاوتة من المقومات الطبيعية والجغرافية والبشرية، وإن تفاوتت في النسبة المقسومة لها؛ لكن العامل الذي يدفع العالم الإسلامي لأن يتمايز على غيره في هذا الشأن، تلك المقومات الروحية والفكرية التي هي بمثابة عُمُدٍ يتم على أساسها وضع اللبنات في أماكنها لتتسق مع بناء الدول الإسلامية، ومن ثَمَّ يتم تشييد صرح المجتمع المسلم في صورة متناغمة قوية، لا تعرف الضعف أو التصدع أو الانهيار.

وتظهر مكانة هذه المقومات الفكرية والروحية بين غيرها، في أنها بمثابة القوة الكامنة التي تبعث الروح في المجتمع وتجدد نشاطه وترمم ما انهدم فيه، وما تصدع من جدرانه، إذ أنها تحمل في طياتها عوامل تميز المجتمع، وسر بقائه شامخا بين سائر المجتمعات.

وتأتي أهمية التعرف على المقومات الفكرية والروحية للعالم الإسلامي، في كونها توقف المجتمعات المعاصرة على تقدير قيمة هذه الطاقات حق قدرها، والعناية بها كغيرها

من سائر المقومات، فيستفيد منها وينطلق في بنائه من استلهام القوة الكامنة فيها، بالإضافة إلى الوقوف على السمات التي تحدد ملامح المجتمع المسلم، وتفصله عن غيره، وتدفعه للالتقاء والتعاون مع الكيانات السياسية بناء على الرؤى المستمدة من هذه المقومات والطاقات الفكرية والروحية.

وبالنظر إلى المصادر التي تحدثت عن العالم الإسلامي وعوامل بقائه وسر قوته على تباعد أماكنه وتعاقب أحداث التاريخ على أراضيه، يتبين أن هذه العوامل هي:

أولًا: الدين الإسلامي.

ثانيًا: اللغة العربية.

ثالثًا: التاريخ الإسلامي المشترك.(١)

وإضافة لتلك المكونات، يأتي العامل المهم الذي يجمع المسلمين في (مشاعر وأهداف واحدة، إذ أنهم تعرضوا جميعًا لأوضاع متشابهة، وتحديات تكاد تكون واحدة، فهم يشتركون في كثير من الآمال والآلام، وهم كما قال الرسول ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(٢)" (٣).

أولا ـ الدين الإسلامي:

الطاقة الروحية النابعة من الإيمان الصادق، لها آثارها في قوة الأفراد ومن ثم المجتمعات التي تحمل هذا الإيمان وتعيش له وبه، فإذا انتقلنا إلى تطبيق هذه الوجهة

---

(١) انظر هذه العوامل وضرورتها لتحقيق الوحدة والتكامل بين الشعوب الإسلامية في كتاب: حاضر العالم الإسلامي، د/ تاج السر أحمد حران، ص١٦، ١٧إشبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، ط. أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، د/ تاج السر حران، ص١٧، مرجع سابق.

على شعوب العالم الإسلامي، نجد أن الإسلام قد أعاد تشكيل الأمم وصهرها وفق اعتبارات جديدة، لا مجال فيها لتعصب لعرق أو نسب أو جاه أو مال، مما يعني الانصراف إلى وجهة أكثر اتساعا، يلتقي فيها كل من آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

هذه الأصول التي أرساها الإسلام، كان لها أبرز الأثر في إعادة تشكيل المجتمعات والأمم الجديدة المؤمنة بالله، لترى نفسها شريكة متعاونة جنبا إلى جنب مع المسلم ذي الأصول العربية؛ لأن الإسلام قد محا هذه الفوارق التي عاشت بها الإنسانية لحظات قاسية في تاريخها الغابر والحاضر.

وليس هذا التضامن الشعوري والإحساس بالمساواة فقط، هو ما تحقق، بل إن قوة هذا الدين كانت عاملا مهما في بناء حضارة المسلمين، فلم تمض فترات طويلة حتى انطلقت شعلة الحضارة ممتزجة بالإيمان والبناء؛ حتى انجذبت الأمم المجاورة وقتئذٍ لحضارة المسلمين للاقتراب منها، والتتلمذ لها، وبقدر ما يحقق المسلمون في عالمهم المعاصر من تمسك بهذه المُثُل والفضائل، فإنهم تكون لهم قوة ومنعة تتأبَّى عليها الانصهار أو الذوبان في عوالم أخرى متذبذبة الهوية، مشتتة الأصول.

ولأمر ما فإن مالك بن نبي . وهو المهتم بدراسة الحضارة والعوامل المؤثرة فيها . قد تنبه إلى محورية الدين في تركيب عناصر صنع الحضارة، وأكد بقوة على هذه الفاعلية، وأن عناصر الحضارة الثلاثة . الإنسان، التراب، الزمن . لا تتركب من ذاتها لتنشأ عنها حضارة، وإنما لابد لها من عقيدة تؤلف بينها، لتتكامل تلك المعادلة، (فالحضارة لا تنبعث . كما هو ملاحظ . إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، ولعله ليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية، وفي البرهمية نواة الحضارة البرهمية. فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجًا، أو هي .

على الأقل . تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غَيْبِي بالمعنى العام، فكأنما قُدِّرَ للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية أو بعيدًا عن حقبته، إذ حينما يكتشف حقيقة حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته وتتفاعل معها)[١]

ثانيا : التاريخ الإسلامي

التاريخ من أعظم ما يميز الأمم عن بعضها، والزمن بدورانه وما يقع فيه من أحداث؛ إنما هو بمثابة مجرًى يصب بأحداثه في نهر التاريخ؛ ليسجل للأمم ما لها وما عليها، ونقاط قوتها وضعفها، وحركة تطورها على امتداد واختلاف مراحل هذا التاريخ.

و(من الملاحظات الاجتماعية أن للتاريخ دورة وتسلسلًا، فهو تارة يسجل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كريمة، وهو تارة أخرى يلقي عليها دثارها، ليسلمها إلى نومها العميق).[٢]

ومن هنا فالتاريخ بأحداثه الماضية والمتجددة، يعد بمثابة مُكَوّنٍ مهم من مكونات هوية الأمة المسلمة، إذِ (العمر الحقيقي لكل إنسان هو تاريخه، وليس عمره الحقيقي أي سنوات حياته، والعمر المكتوب في بطاقة الهوية لفرد ما، هو المدة التي يصنعه التاريخ فيها، الفترة التي يُودعه فيها التاريخ تراثه ومواده وخصائصه...، ومن هنا فالشخصية الإنسانية لكل فرد هي مجموعة الخصائص التي استمدها من تاريخه)،[٣] وكما تتشكل شخصية الفرد من خلال تاريخه وتقلبات الحياة به، فكذلك المجتمعات والأمم يتشكل تاريخها وهويتها من خلال أحداث التاريخ الذي يصنعها وتقلبات الدهر، ومن هنا يظهر

---

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبور شاهين، تقديم: محمد همام، ص ٧١ دار الكتاب المصري اللبناني ومكتبة الإسكندرية٢٠١٢م.

(٢) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص ٦٥ – مرجع سابق

(٣) العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم: زكي الميلاد، ص٢١١، ٢١٢.

الدور المهم للتاريخ في صناعة الذات والهوية للمجتمعات.

كما أن المعرفة المتجددة للتاريخ، والإحاطة والاعتبار بأحداثه، لها أعظم الأثر في صنع الحاضر، حيث يشير رفاعة الطهطاوي إلى مكانة التاريخ في صنع الحضارة وبناء المجتمع، إذ يؤكد على مسؤولية المؤرخين في ذلك قائلا: (ولما كانت عِمَارِيَّة المسالك والممالك لا تستغني عن الفنون والصنائع وآلاتها وأدواتها يَسَّرَ الله تعالى لكل زمن من الأزمان أناسًا أربابَ براعةٍ كاملة؛ لإحياء ما به يكون العُمران ويتسع التمدن في البلدان، فمن هؤلاء علماء التواريخ والعارفون بالألسن واللغات، والمولعون بمطالعة الكتب ومعرفة مؤلفيها من مشاهير الرجال، فهم أيضًا مجددون للصناعة والبراعة، فكل أصحاب علم أو أصحاب فن لا يتصف بسعة دائرة معرفته إلا إذا اطلع على المؤلفات الجليلة من فنه؛ فصاحب التاريخ لابد أن يعرف جميع السِّيَر مما ورد في الكتاب والأثر، وأخبار الماضي والحال؛ **ليقيس على ذلك ما عساه أن يكون في الاستقبال** لا سيما تاريخ المِلَل والدُّوَل والنِّحَل وما كان عندهم من التدبير والحِيَل، ولكن لابد أن يكون صاحب بصيرة نَقَّادَة وفكرة وَقَّادَة، حتى يميز صحيح الوقائع من الأباطيل، ولا يلتفت إلى كل ما قيل من الأقاويل، ولا يهمل معرفة تاريخ بلاده، ووقائع مَسقَط رأسه وميلاده، كما لا يهمل تاريخ العلوم والفنون).[1]

إن تعاقب الأحداث الكبرى المؤثرة في تاريخ العالم الإسلامي، قديما وحديثا، على امتداد رقعته؛ ليشير إلى ضرورة الاعتبار بأن مصير هذه الأمة متحد، فما من نازلة تصيب أحد أعضاء هذا الجسم الإسلامي الكبير الممتد، إلا ويؤثر بالطبع على استقرار وسلامة وعطاء باقي الأعضاء، أعني الأمم الإسلامية، كما أنه يخلق حالة من الشعور بالاضطراب والقلق الداخلي، تأسى لها سائر الدول المسلمة، لا من منطلق الإنسانية

(١) المرشد الأمين للبنات والبنين، رفاعة الطهطاوي، تقديم: منى أبو زيد، ص١٨٥، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ٢٠١٢م.

فحسب . فهذا شعور عام يستوي فيه المسلم وغيره . بل من منطلق الأخوة الإسلامية، والتضامن الروحي، ووحدة الوجهة والرسالة، والآلام والآمال.

لكن التاريخ وأحداثه لا تنبعث من ذاتها، بل تتضافر عدة عناصر في التأثير في أحداثه ومجرياته، لذا يرى مالك بن نبي أن (التاريخ صناعة ذاتية يشترك في هذه الصناعة، الأشخاصُ والأفكارُ والأشياءُ جميعًا، من خلال ترابط خَلَّاق بين هذه العناصر في إطار كيان عام ومن خلال عمل مشترك وتصور متكامل، والإنسان فاعل أساسي في صناعة التاريخ، ومحرك إيجابي للأقدار في خضم تيار الأحداث العارم، والإنسان الصانع للتاريخ لا يكفي أن تكون له حاجيات أو أن تكون لمجتمعه، بل لابد أن تكون له مبادئ ووسائل تساعد على الإبداع والخلق).[١]

ونظرا لأهمية التاريخ وعواقب إهماله؛ فإن أعداء المجتمع المسلم . من المستعمرين وأعوانهم . عندما تحققوا من خطر استيعاب المجتمع المسلم لأحداثه وتاريخه، حاولوا قطع صلة الأجيال المعاصرة بتاريخها، كي لا تنتبه لمعرفة عدوها وكشف مخططاته (ومن هنا فأول ما فعل الاستعمار خاصة في المجتمعات ذات الحضارة التاريخية ذات الجذور، هو أنه فَصَلَ الجيلَ الحالي عن تاريخه، ووُفِّقَ في هذا الأمر، لدرجة أن العصريين في هذا المجتمع لم تعد لهم أية صلة بماضيهم، ولم يودوا يعرفونه، ولا يفهمون منه إلا قدمًا قديمًا منحطًّا وغامضا، بل ويسمى الميل إليه بالرجعية أي الاهتمام بالماضي دون المستقبل)[٢].

وفي مقابل هذا التهوين من شأن التاريخ، والذي حاول الاستعمار بثه في المجتمع،

---

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبور شاهين، تقديم: محمد همام، المقدمة ص٤١، مرجع سابق.

(٢) العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم: زكي الميلاد، ص٢١١، مرجع سابق.

نجد الأمم النابهة قد اهتمت ببعث التراث المادي الذي خلَّفه التاريخ في مجتمعهم، بل وفي مجتمعاتنا الإسلامية، لدرجة أنهم (اهتموا بإحياء آثارهم الماضية التي لا قيمة لها وحفظها، والتعريف بها إلى درجة أنهم يعرضون السروال الداخلي لعشيقة نابليون في متحف، وفي سنوات الحرب بينما كانت مدن أوربا تُقذَف بالقنابل، كانوا يحافظون على آثارهم التاريخية مضحين بالأرواح، والأموال، وكانوا ينقلون تذكارات الماضي تحت قصف القنابل ودانات المدافع من المتاحف إلى المخابئ الجبلية، بل وأنفق كثير من علمائهم، وباحثيهم أعمارهم كلها في خرائب شويش، وبعلبك، وبين النهرين وصحراء بلاد العرب المحرقة، ومصر، واليمن، و إفريقيا، وتركستان)[1]، إنهم اهتموا بآثار العالم الإسلامي واستنطاقها في محاولة لاكتشاف عبقرية هذه الحضارة والعوامل التي شكلت فنونها ورقيها عبر مجدها التليد.

ووفق هذا الاستيعاب للتاريخ وأهميته، تستطيع الأمة أن تقيس جهودها وتحدد مكانها من التاريخ بصورة واقعية؛ لتنظر ما تحتاجه لمسايرة التقدم الذي يحقق أهدافها ويُنجح أداء رسالتها، ويرسخ هويتها ومكانتها بين الأمم، (فإذا ما أخذنا هذه الملاحظة بعين الاعتبار، تحتم علينا في حل مشكلاتنا الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ، وأن ندرك أوضاعنا، وما يعترينا من عوامل الانحطاط وما ننطوي عليه من أسباب التقدم، فإذا ما حددنا مكاننا من دورة التاريخ، سَهُل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا)[2].

ويُفهَم من ذلك أن الأمة الإسلامية عندما تريد أن تصنع حاضرها بحق، فإنها تنفذ ببصيرتها إلى أعماق التاريخ، لتستلهم من خلاله مقومات بقائها المادية والمعنوية، ولتتعظ

(١) المرجع السابق ص ٢١٢.

(٢) شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبور شاهين، تقديم: محمد همام، ص ٦٥، مرجع سابق.

بما فيه من أحداث أثَّرت فيها وتفاعلت معها، خاصة تلك الأحداث الكبرى التي أوشكت أن تودي بأجزاء كبيرة من دول العالم الإسلامي.

ثالثا : اللغة العربية

تشكل اللغة العربية جزءًا مهما من هوية الأمة المسلمة، فهي مقترنة بتاريخها، صعودًا وهبوطًا، واللغة بالنسبة للأمة في حركتها، إنما هي بمثابة (الوطن المعنوي الواحد لحركة اللسان المُعبرة عن حركة الفكر والنفس والوجدان، وهي في هذا تشبه حدود الأرض التي تحوي داخل محيطها الوطن المادي لحركة جسم كل فرد من أفراد الأمة.

ولذلك نجد الباحثين يلجئون إلى اللغة ليستنبطوا منها خصائص أمة من الأمم، كلما عجزت الدلائل الأخرى عن أن تعطيهم صورة صحيحة عنها.

ورقي لغة من اللغات عنوان رقي الأمة الناطقة بها، والثروة التي تقدمها لغة من اللغات، متمثلة فيما أنتجه العلماء والمثقفون الناطقون بها، أعظم مَجْدٍ يتمتع به تاريخها الذي يكسو الأمة، صاحبة هذه اللغة، بحُلَلٍ من المجد العلمي والحضاري).

واللغة العربية لها أعظم الأثر في تشكيل هوية الأمة، وإنهاضها من كبوتها؛ باعتبارها رباطا ينتظم المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي، يستشعرون من خلاله الروح الإسلامية الواحدة التي تجمع بينهم، وتحمل في طياتها تراثهم ومجدهم ورسالتهم، التي شرفهم الله تعالى بحملها والدعوة لها.

وفي العصر الحاضر وجدنا جمال الدين الأفغاني . وهو من المفكرين الذين اهتموا بدور اللغة في إيجاد هذه الروح الجامعة بين الشعوب المسلمة . إذ يبرهن على ذلك بأن للغة أثرًا لا يُنكَر في تحقيق وحدة الكيانات والأمم، وقد أكد على ذلك بأن (لكل دين لسانًا، ولسان دين الإسلام اللغة العربية، ولكل لسان آداب، ومن هذه الآداب، تحصل ملكة الأخلاق وعلى حفظها تتكون العصبية...فالعرب ما نجحوا بفتوحاتهم بشكل الدين الظاهري فقط، بل بفهم

أحكامه والعمل بآدابه، وذلك ما تم ولا يتم إلا باللسان، وهو أهم الأركان).[١]

وتُرجع د/منى أبو زيد، اختيارَ الأفغاني للُّغة كرابط لتحقيق وحدة الشعوب الإسلامية للأسباب التالية:

(ربما كان السبب في هذا يعود إلى أن اللغة هي التي تنتج الآداب، ومن هذه الآداب تأتي الأخلاق، وعليها تتكون العصبية.

• وربما لأن اللغة هي وعاء الفكر، ومظهر الوحدة، وقبلة الفخر والولاء، ثم هي الرباط الذي يشيد الوحدة القومية.

• وربما لأن اللغة الواحدة ستجمع أفراد الأمة في نوع من التعليم المشترك، ولهذا التعليم فائدة في التقارب).[٢]

ولأجل ذلك الرابط وفاعليته في تحقيق الصلة بين الشعوب المسلمة على اختلاف أوطانها، نجد المفكر المسلم "محمد خانجيتش البوسنوي" يوضح هذه الحقيقة في صورةٍ عمليةٍ، ترصد واقع المجتمـع المسلم . خاصة في الغرب . إذ يقول: (إن قراءة القرآن الكريم باللغة العربية تربطنا بباقي الشعوب الإسلامية، فالتحية باللغة العربية، والأذان باللغة العربية وقراءة القرآن باللغة العربية والصلاة باللغة العربية، وهذه الأمور هي أقوى الروابط بين الإخوة في الإسلام، فجميع المسلمين، بغضِّ النظر عن وطنيتهم وقوميتهم وبُعدهم وقربهم، يُعلِّمون أبناءهم منذ الصغر قراءة القرآن الكريم باللغة العربية، وكل من يقف ضد ذلك فهو يقف ضد حرمات الديانة الإسلامية، وعلى كل مسلم أن يدينه).[٣]

---

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، محمد باشا المخزومي، تقديم: منى أبو زيد، ص١٢٢، ١٢٣ بتصرف واختصار، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

(٢) المرجع السابق، المقدمة ص ٧٩، مرجع سابق.

(٣) الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي، محمد خانجيتش، ترجمة: عبدالرحيم ياقدي، اختيار وتقديم: أسعد دوراكوفيتش، ص١٦٣ دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٦هـ

ولأمر ما يلفتنا الشيخ محمد الغزالي، إلى (أن الدول التي سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم، وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعها، مما أدى إلى تخبطِ وفشلِ عمليات التنمية المتكاملة، في حالة الاستمرار في تجاهل اللغة القومية).[١]

لذا وجب على الأمة أن لا تفرط في لغتها، لأنها عنوانها الذي يستدل به على ثقافتها، وهي الرابطة التي تجمع المسلمين حولها، لكنها تتأثر بالأحداث التي تمر بالأمة، حيث (إن سنة الوجود تجعل اللغة كائنا حيا ككل الأحياء وحياة الحي تتبع المكان والبيئة التي يعيش فيها، فإن كانت تمده بالغذاء القوي قَوِيَ، وإن ضعفت ضَعُفَ...والناس إنما يحاولون تقليد الأقوياء في لغتهم، فينطقون كما ينطق القوي، فإن كان فصيح اللسان قلدوه، وإن كان مُلْتوي البيان حاكوه).[٢]

وواجب الأمة تجاه لغتها . باعتبارها مصدر قوة ووحدة لشعوب العالم الإسلامي . أن تبذل جهودها؛ للمحافظة على هذه اللغة التي تمتلكها، وألا تسمح لأبنائها، فضلا عن الآخرين، أن ينالوا هذه اللغة بسوء؛ إذ أن التفريط في اللغة إنما هو مدخل للتفريط في كل ما يتعلق بالأمة؛ لأنها الوعاء الذي يحوي تراث الأمة وتاريخها على امتداده.

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، الشيخ محمد الغزالي، ص٦٦، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. سابعة، ٢٠٠٥م.

(٢) الوحدة الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، ص٢١٩ باختصار، دار الرائد العربي، بيروت.

المطلب الثاني
المقومـات البشرية للعالم الإسلامي

يُعَدُّ العنصر البشري معيارًا ذا أهمية فاعلة في تقدير الإمكانات المنسوبة للدول، فالعنصر البشري له صلته الوثيقة في التأثير المباشر على المقومات الأخرى خاصة الاقتصادية ومعدلات التنمية، ومجال الخدمات والإنتاج.

وقد أخذ العالم الإسلامي اهتمامًا متزايدًا من المراكز المعنية بدراسة نمو السكان في العالم، وتمايز نسب السكان، واقتران ذلك بانتشار وترتيب الديانات في العالم، واستشراف مستقبل خارطة الأديان في العالم، خلال الفترة المقبلة.

على أن الهدف من قراءة عدد السكان في العالم الإسلامي، قد يختلف باختلاف البواعث له، والخلفيات الفكرية المتباينة في تحليل دلالة هذا النمو وقيمته، فهناك دراسات ترصد هذا الجانب تمهيدًا للتنبؤ بمستقبل الأديان في العالم؛ من حيث الانتشار والتمايز الديني، وإعادة ترتيب خارطة الأديان في العالم، بناء على المعيار الكمي والكيفي، والقوة التي تمتلكها، كما أن معدل نمو السكان، والفئات العمرية لتركيبة السكان، لها دلالتها في استشراف معدلات وتوجهات التنمية، واستنتاج أبعاد ومؤشرات التنمية في الدول، بناء على هذا التعداد.

تعداد المسلمين:

في ضوء العناية بالعنصر البشري والزيادة السكانية، والتطور الذي يشهده النمو السكاني في العالم الإسلامي، خلال العقود الأخيرة، ودلالات واقع ومستقبل هذا النمو مقارنة بأتباع الديانات الأخرى في العالم، يمكننا سرد الحقائق التالية:

١- تشير دراسة "مستقبل تعداد المسلمين في العالم"[(١)] إلى أن عدد المسلمين في

(١) صادرة عن مركز بيو للأبحاث الدين والحياة عام ٢٠١١م.

العالم زاد عن ١,٦ مليار في عام ٢٠١٠ بنسبة ٢٣,٤ بالمائة من إجمالي عدد سكان العالم البالغ نحو ٦,٩ مليار.

٢- توضح الدراسة - أيضا - أن "نسبة المسلمين زادت في عام ٢٠١٠ عن ٥٠% بالمائة من إجمالي عدد السكان في ٤٩ دولة، وأن ما مجموعه ١,٢ مليار مسلم يعيشون في هذه الدول بنسبة تبلغ ٧٤ بالمائة من عدد سكان العالم الإسلامي البالغ ١,٦ مليار نسمة.

٣- يُمثل المسلمون في دول منظمة التعاون الإسلامي ما نسبته ٨١,١ بالمائة من إجمالي المسلمين في العالم و ٨١,٧ بالمائة من مجموع سكان دول منظمة التعاون الإسلامي، أما الدول الثلاث الأولى التي تصدرت القائمة من حيث عدد المسلمين فيها في عام ٢٠١٢ فهي إندونيسيا (٢٠٤,٨ملايين) وباكستان (١٧٨,١مليون)، والهند (٣،١٧٧مليون)، و أول دولتين منها من أعضاء منظمة التعاون الإسلامي.

٤- يتوقع مركز بيو للأبحاث أن تتصدر باكستان (٢٥٦,١مليون)، وإندونيسيا (٢٣٨,٨ مليون)، والهند (٢٣٦,٢ مليون) الدول من حيث عدد المسلمين فيها في عام ٢٠٣٠م

٥- تُظهر التقديرات أن ما نسبته ٧٤ بالمائة من عدد السكان المسلمين في عام ٢٠١٠ كان يعيش في دول ذات أغلبية مسلمة، ومن المتوقع أن ترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٧٨,١ بالمائة في عام ٢٠٣٠م

٦- يتوقع مركز بيو للأبحاث أن يزيد عدد المسلمين في العالم بنسبة (١,٥ بالمائة سنويًا) أي ضعف نسبة زيادة عدد غير المسلمين (٠,٧ بالمائة سنويًا) خلال العقدين القادمين، وفي ظل هذه التوقعات من المقدر أن يُشكل المسلمون ما نسبته ٢٦,٤ بالمائة من سكان العالم في عام٢٠٣٠ ، مقارنة بنسبة ٢٣,٤ بالمائة في عام ٢٠١٠م [١]

(١) الخروج من الأزمة، إكمال الدين إحسان أوغلي، ص ٨، ٩، كراسات "مراصد" سلسلة تقارير تصدر عن مكتبة الإسكندرية عدد ٢٢، لسنة ٢٠١٣م.

٧. تشير الدلالة المطردة للتعداد السكاني في العالم الإسلامي إلى تقدم ترتيب الإسلام مقارنة بغيره من الديانات، حسبما ورد في التقرير الذي أعده مركز (بيو الأمريكي) للأبحاث، [١] في عام ٢٠١٥م، والذي أشار من خلاله إلى أن الدين الإسلامي يمثل ثاني أكبر دين في العالم، حيث يبلغ تعداد المسلمين (١,٩ مليار) شخص ويشكلون حوالي ٢٤,٨% من سكان العالم، كما أشار المركز ذاته . في فترة لاحقة . إلى أنه بحلول عام ٢٠٥٠م فإن تعداد المسلمين في العالم سيصل إلى (٢,٧٦ بليون) بما يعادل (٢٩,٧%) من سكان العالم[٢].

– ارتفع عدد المسلمين حول العالم بنسبة ٢١٪ بين عامي ٢٠١٠ و٢٠٢٠، من ١,٧ مليار إلى اثنين مليار نسمة. وتضاعفت سرعة نمو المسلمين مقارنةً بباقي سكان العالم، الذين ازدادوا بنسبة ١٠٪ خلال العقد نفسه؛ ونتيجةً لذلك، ارتفعت نسبة المسلمين من ٢٤٪ إلى ٢٦٪ من سكان العالم. [٣]

---

(١) التقرير منشور بعنوان: Why Muslims are the world's fastest growing religious group, by Michael Lipka and Conrad Hackett p بتاريخ ٢٠١٧/٤/٦م، على الرابط https://web.archive.org/web/٢٠١٩٠٥١٤١٢٣٥٥٩/https://www.pewresearch.org/fact-tank/٢٠١٧/٠٤/٠٦/why-muslims-are-the-worlds-fastest-growing-religious-group/

(٢) من مقال باللغة الإنجليزية منشور بعنوان
World's Muslim population more widespread than you might think على الرابط: https://www.pewresearch.org/fact-tank/٢٠١٧/٠١/٣١/worlds-muslim-population-more-widespread-than-you-might-think/

(٣) كيف تغير المشهد الديني العالمي من عام ٢٠١٠ إلى عام ٢٠٢٠ تقرير من إعداد/ كونراد هاكيت، مارسين ستوناوسكي، يونبينغ تونغ، ستيفاني كرامر، آن شي ودواليا فهمي، تقرير صادر عن مركز بيو للأبحاث بتاريخ ٩/٦/ ٢٠٢٥م

ويعضد هذه التوقعات ما ذكره (مقال "الغارديان"[١] . مرتكزا على أرقام "مركز بيو للأبحاث" . أن الإسلام هو الأسرع نموا في العالم من باقي الأديان، إذ إن سرعة النمو بين المسلمين هي ضعف تلك المسجلة لدى باقي الطوائف والمجموعات الإثنية.

وحسب ما كشفته توقعات عدد سكان العالم في الفترة ما بين عامي ٢٠١٥ و٢٠٦٠م، فإن نسبة النمو الإجمالية لسكان العالم هي ٣٢ بالمئة خلال إجمالي هذه الفترة، يشكل المسلمون وحدهم من تلك النسبة ٧٠ بالمئة، وفي المقابل، وبرغم أن عدد المسيحيين في العالم يبقى الأكبر حاليا، فإن نسبة النمو ستستقر لدى أتباع المسيحية عند ٣٤ بالمئة، ما يعني أن الترتيب العالمي سيتغير في منتصف القرن الحادي والعشرين لصالح الإسلام). [٢]

الفئات العمرية لسكان العالم الإسلامي:

لا يملك العالم الإسلامي تعدادا سكانيا متقدما على غيره من التصنيفات الأخرى فحسب . بحلول السنوات المقبلة . بل إن فئة الشباب تتصدر الفئات العمرية لهذا التعداد الضخم، مما يُكسب العالم الإسلامي طاقة ووفرة في العنصر البشري، من الناحية الكمية والكيفية.

ويمكننا أن نطالع هذه الإحصاءات، لنتبين المغزى العام لفئات سكان العالم الإسلامي، مقارنة بغيره من الدول الأخرى، وذلك من خلال الآتي:

١. عند تصنيف دول منظمة التعاون الإسلامي حسب متوسط العمر، نجد أن أوغندا

---

(١) المقال منشور باللغة الإنجليزية بعنوان: Religion: Why faith is becoming more and more popular? على الرابط:

https://www.theguardian.com/news/٢٠١٨/aug/٢٧/religion-why-is-faith-growing-and-what-happens-next

(٢) من مقال بعنوان (الغارديان: الإسلام سيكون الديانة الأولى في العالم بحلول سنة ٢٠٦٠) تحرير: أمين زرواطي.

والنيجر تضُمَّان السكان الأصغر سنًا حيث يتراوح متوسط العمر بين ١٥,١ و ١٥,٢ سنة في حين تضمان قطر والبحرين السكان الأكبر سنًا.

٢. يتراوح عمر أغلبية السكان بين ٣٠,٨ و٣٠,٩ سنة على التوالي وفقًا لبيانات (تقديرية) لعام ٢٠١١ نُشرت في كتاب حقائق العالم (World Fact book).

٣. يبلغ متوسط عمر الفرد في دول منظمة التعاون الإسلامي ٢٣,٢سنة وهو ما يعد أقل بكثير من متوسط العمر في العالم البالغ ٢٨,٤ سنة.

٤. عند مقارنة النسبة العمرية لدول منظمة التعاون الإسلامي بغيرها من الدول ذات القوة العظمى، يتضح أن دول العالم الإسلامي لديها نسبة عالية من السكان الشباب بالمقارنة مع اليابان (٤٤,٨سنة)، وبعض دول أوروبا مثل ألمانيا (٤٤,٩سنة) وإيطاليا (٤٣,٥سنة) وغيرها.

ويمنح الشباب النشاط لأي مجتمع من خلال خلق ارتفاع في الطلب على السلع والخدمات، شريطة توفر المصادر والأموال الكافية لتلبية هذا الطلب المرتفع في مقابل الشيخوخة التي تؤدي إلى ظروف تشاؤمية في المجتمع، غير أن عدم تشغيل الشباب أو جَعْلهم غير منتجين اقتصاديًا يؤدي إلى هيمنة الجوانب والقُوى السلبية على المجتمع والاقتصاد والسياسة)[١].

وبعد هذا العرض للعوامل المؤثرة في تشكيل السكان في العالم الإسلامي، ينبغي أن نأخذ في الاعتبار النقاط الآتية:

١- الإحصاءات العالمية الحالية صادرة عن مراكز عالمية وليست إحصاءات رسمية من الدول المنسوبة إليها، ما يعني أن النسبة المرصودة قد تزيد، خاصة وأن بعض هذه المراكز يقدم تقاريره للجهات المعنية بالتأثير في صنع السياسات العالمية.

(١) الخروج من الأزمة، إكمال الدين إحسان أوغلي، ص ٩، ١٠، كراسات "مراصد" سلسلة تقارير تصدر عن مكتبة الإسكندرية مرجع سابق.

٢- تفتقر الإحصائيات إلى الدقة الكافية لتصنيف السكان بناء على ديانتهم، خاصة وأن معظم دول العالم الإسلامي، يعيش فيها مواطنون غير مسلمين، جنبا إلى جنب، متمتعين بالحقوق والواجبات ذاتها، في ظل سيادة مبدأ التعايش والمواطنة وإقرار الحقوق الوطنية بالتساوي بين أبناء الدولة الواحدة.

٣- تتباين نسب المسلمين المئوية بحسب المصادر الإحصائية، مما يجعل أمر الأخذ بها مشكوكاً فيه، ولاسيما في البلدان ذات النسبة العالية للسكان المسلمين التي لا تصل إلى ٥٠% كما أن التزايد السنوي للمسلمين بوتائر أعلى من غيرهم يرفع من نسبتهم مع الزمن، مما يجعل بلداناً جديدةً تقع ضمن ما يسمى بالعالم الإسلامي.(١)

٤- النمو المتزايد لسكان العالم الإسلامي، يلفت الانتباه إلى ضرورة التخطيط الرشيد لاستيعاب هذه الطاقات البشرية، وتحقيق التكامل والتفاعل بينها وبين المقومات الأخرى، لتلبية الحاجات المتزايدة للعناصر البشرية، (إن فهم الديناميكيات الديموغرافية مهم للغاية بطبيعة الحال لتحقيق تطلعات التنمية السكانية للسكان المسلمين، لما لها من آثار خطيرة على التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فقد يسبب انخفاض معدل النمو السكاني مشكلة الشيخوخة كما هو الحال الآن في بعض الدول المتقدمة، أو النقص في إجمالي الطلب مما يؤدي إلى تباطؤ النمو الاقتصادي.

من ناحية أخُرى تؤدي معدلات النمو السكاني المرتفعة إلى زيادة مفرطة في الطلب على التعليم والصحة وغيرها من أوجه الإنفاق الاجتماعي التي يمكن أن تُخصص لقطاعات إنتاجية لتسريع حركة النمو في البلدان النامية. الأهم من ذلك أنه إذا لم يخلق الاقتصاد فرص عمل لأعداد السكان المتزايدة فإن النتيجة الحتمية هي تكوين بيئة مناسبة

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الخامس عشر، بحث بعنوان: الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي، د/ عادل عبد السلام، ص٥٧، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

للاضطرابات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية)[1].

٥- الإمكانيات البشرية للعالم الإسلامي، بحاجة إلى استثمارها وتوجيهها في ظل التحول السريع لمصادر القوى في العالم، إذ لم يعد تقدير الموارد بكثرة العدد فقط، بل بكيفية استثمار وتدريب هذه الطاقات وتحويلها إلى مصادر داعمة لعملية التنمية وتعزيز القوى على المستوى المحلي والعالمي.

(١) الخروج من الأزمة، إكمال الدين إحسان أوغلي، ص ٧ كراسات "مراصد" سلسلة تقارير تصدر عن مكتبة الإسكندرية مرجع سابق.

المطلب الثالث
المقومات الاقتصادية للعالم الإسلامي

ميّز الله تعالى العالم الإسلامي بمساحات وافرة تفترش مناطق متنوعة جغرافيا، ومن ثم تختبئ في باطنها ثروات وخيرات، كانت . ولا تزال . محل جذب وعناية من قِبَل الدول الكبرى، المهتمة بالبحث عن مصادر الطاقة بأنواعها المختلفة.

وبالنظر إلى مساحة دول العالم الإسلامي – مجتمعة – نجد أن (منظمة التعاون الإسلامي . التي تُعتبر ثاني أكبر منظمة دولية بعد الأمم المتحدة وتضم في عضويتها سبعًا وخمسين دولة عضوًا . تنتشر على مساحة جغرافية شاسعة في أربع قارات تمتد من ألبانيا (أوروبا) في الشمال إلى موزمبيق (إفريقيا) في الجنوب ومن غويانا (أمريكا اللاتينية) في الغرب، إلى إندونيسيا (آسيا) في الشرق. وعلى هذا النحو تُشكل الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي سدس مساحة العالم.

ويتمتع العالم الإسلامي بفضل هذه المساحة الجغرافية الشاسعة بموارد طبيعية هائلة تأتي على رأسها سيطرته على موارد الطاقة التقليدية كالنفط والغاز الطبيعي وغيرها من السلع والمواد الخام الرئيسية).[1] إضافة إلى الدول الأخرى التي لا تشملها منظمة التعاون الإسلامي، لكنها تقع ضمن النطاق السياسي للعالم الإسلامي.

وتتسم هذه الإمكانات بالتنوع والوفرة، حيث المساحات الشاسعة والموارد المتجددة، والمواد الخام والطاقة، وكذلك العنصر البشري، والتنوع المناخي والموقع الجغرافي المتميز في قلب العالم، وامتلاك نقاط وقنوات ومعابر استراتيجية حيوية تربط دول العالم وتؤثر في حركته التجارية ونقله للمواد الخام والسلع، إضافة إلى التطور المعاصر في النقل

(١) الخروج من الأزمة، أكمل الدين إحسان أوغلي، كراسات مراصد سلسلة تقارير تصدر عن مكتبة الإسكندرية ٢٠١٣م، ص ٨.

الذي جعل عملية التبادل الاقتصادي أكثر سهولة مما مضى، مما يعني أن العالم الإسلامي لديه القدرة الاقتصادية على منافسة الكيانات الأخرى، محققا بذلك استقلاله ومكانته على الصعيد المحلي والدولي.

ومن هنا يمكننا الإشارة إلى بعض مظاهر هذه المقومات الاقتصادية التي يتمتع بها العالم الإسلامي، سواء الموارد البشرية أو الزراعية أو الطاقة أو التكنولوجيا على الوجه التالي:[1]

١- **بالنسبة للموارد البشرية:** عدد السكان في العالم الإسلامي ١٢٧٩ مليون نسمة وبنسبة ٢٠،٨ من سكان العالم منهم في سن العمل (ما بين ١٥ – ٦٤ سنة) ٧١٢ مليون نسمة، يعمل منهم ٥١٥ مليون نسمة، وغير العاملين ١٩٧ مليون نسمة بنسبة ٢٧، ٧ % ممن هم في سن العمل.

٢- **بالنسبة للموارد الزراعية:** تبلغ مساحة البلاد الإسلامية ٣٠٠٧٧ ألف كيلو متر مربع وبنسبة ٢٢،٥% من مساحة العالم وتبلغ المساحة المنزرعة نسبة ١٤،٠٩ % من المساحة الكلية موزعة إلى أراضي محاصيل دائمة، بنسبة ٢،٩٥% وأراضي محاصيل أخرى بنسبة ١١،١٤ %.

٣- **بالنسبة للموارد الطبيعية:** نجد أن نصيب العالم الإسلامي من أهمها على الوجه التالي: البترول ٣٥% الفوسفات ٢٩% القصدير ٣٥% المنجنيز ١٢% الحديد ٢،٢%.

٤- **بالنسبة للطاقة اللازمة للإنتاج والاستهلاك:** يبلغ إنتاج الطاقة التجاري بآلاف الأطنان المترية٣٦١٠،٨ ألف طن متري، بنسبة ٣٧،٥% من إجمال الطاقة المنتجة، في العالم، ويبلغ الاستخدام التجاري منها داخل الدول الإسلامية، ٩٨٨،٩ ألف طن

---

(١) التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي، د/ محمد عبد الحليم عمر، ص٤٦٠، ٤٦١، ضمن أبحاث ووقائع مؤتمر "مستقبل الأمة الإسلامية" المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، في الفترة ١١.٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ/ ١٢.٩ مايو ٢٠٠٣م.

متري وبنسبة ٧٢،٦% من الطاقة المنتجة.

٥- **بالنسبة للتكنولوجيا:** والتي أصبحت تمثل عنصراً مهمًا من عناصر الإنتاج في العديد من السلع والخدمات، نجد أن العالم الإسلامي فقيرًا جداً فيها سواء على مستوى كل دولة أو على المستوى الإجمالي حيث يبلغ الإنفاق على البحث العلمي والتطوير لإنتاج التكنولوجيا ٠،٢% من الناتج القومي بينما متوسط النسبة العالمية ٢،١٨% وعلى مستوى الدول المتقدمة، ٢،٤% أما طلبات براءات الاختراع المسجلة في جميع الدول الإسلامية فبلغ ٣٥٥١٠٩ براءة تمثل نسبة ٧،٩% فقط من براءات الاختراع المسجلة على مستوى العالم البالغة ٤٥٠٠٧٨٨ براءة اختراع، ومن الجدير بالذكر أن براءات الاختراع المسجلة في العالم الإسلامي على قلتها ليست كلها للمواطنين في هذه البلاد وإنما الجزء الأكبر منها لغير المقيمين أي لعلماء ومخترعين من دول العالم الآخر، حيث يبلغ عدد البراءات المسجلة في الدول الإسلامية لغير المقيمين ٣٥١٢٥٣ براءة بنسبة ٩٨،٩% وللمقيمين ٣٨٥٦ براءة بنسبة ١،١%.

وبالنظرة الأولية على الإمكانيات الاقتصادية للدول الإسلامية نجد ما يلي:

١- أنه توجد موارد بشرية كبيرة ولكنها لم تستغل الاستغلال الأفضل حيث يوجد فائض منها يمثل نسبة البطالة التي تبلغ ٢٧،٧%.

٢- أن الأراضي الزراعية لم تستغل بالكامل حيث تصل نسبة المستغل منها حوالي ١٤،٠٩% فقط.

٣- أن الله سبحانه وتعالى قد منح البلاد الإسلامية العديد من الموارد الطبيعية والتي تنتج من بعضها بمعدلات كبيرة تفيض عن حاجتها.

٤- أن الطاقة التي تمثل روح الاقتصاد وجد فائض كبير منها يمثل نسبة ٧٢،٦%.

٥- أنه يوجد عجز وفجوة تكنولوجية كبيرة في العالم الإسلامي.

وكل ذلك يدل على أن الإمكانيات الاقتصادية لدول العالم الإسلامي وفي وضعها

الحالي كبيرة؛ لكنها لم تُستغل استغلالا كاملاً).

وتكمن قيمة هذه الإمكانات والموارد في المزاوجة بينها وبين العناصر والمقومات الأخرى، مثل العنصر البشري والمقومات الثقافية في إطار خطة وقتية محددة، تمهيدًا لتحقيق الاستفادة القصوى منها، والتنسيق والتكامل بين دول العالم الإسلامي، وتحقيق الاستقلال والتفوق في مجالاته المتنوعة، والتي يتطلبها الواقع بمعاييره التنافسية، التي لا مكان فيها للضعفاء.

وهنا نضرب نموذجا لتأثير أحد الموارد الطبيعية التي وهبها الله تعالى لدول العالم الإسلامي في مجال الطاقة، وتأثير ذلك على السياسة الاقتصادية للعالم، فمثلا (في الثمانينات أصبحت السعودية أكبر مصدر للنفط في الشرق الأوسط، وأصبحت قراراتها هي التي تحدد الأسعار، عن طريق تحديد كمية المنتج لديها، ولقد أعلنت أكثر من مرة عن عزمها على خلق فائض نفطي في السوق العالمية للتقليل من أزمات الدول الرأسمالية.

لقد كانت ثنائية الأسعار التي ظهرت بين السعودية والإمارات من جهة وبين بقية الأقطار المصدرة للنفط من جهة أخرى في مؤتمر الأوبك في الدوحة (قطر) في ديسمبر ١٩٧٦ مؤشراً هاماً للدور السياسي الذي يلعبه النفط، وأصبح واضحاً خاصة بعد الحرب العراقية/ الإيرانية التي أثرت على الإنتاج النفطي في البلدين أن السعودية هي حجر الزاوية في العلاقات النفطية الجديدة، وقد أدت سياستها في زيادة الإنتاج إلى خفض الأسعار، وأثر ذلك ليس فقط في سرعة استهلاك مواردها النفطية وإنما أدى أيضا إلى خفض إنتاج بعض بلدان الأوبك إلى نسبة تصل إلى ٤٥%).[١]

على أنه لا يفوتنا هنا التنبيهَ على أن المواد الأولية اللازمة لقوة الأمة، وإعادة تشكيل حاضرها ومستقبلها، لا تقتصر فقط على ما تمتلكه الأمة من مصادر وموارد اقتصادية،

(١) النفط والعلاقات الدولية، وجهة نظر عربية، د/ محمد الرميحي ص١٤٤ سلسلة عالم المعرفة، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٥٢ لعام ١٩٨٢م

بل ينضم إلى ذلك تلك الثلاثية التي أشار إليها مالك بن نبي في تركيب الحضارة، والمتمثلة . من وجهة نظره . في الإنسان والتراب والوقت، باعتبارها المقدمات الأولية اللازمة لبناء أي مجتمع، (وهكذا لا يتاح لحضارة في بدئها رأسمال، إلا ذلك الرجل البسيط الذي تحرك، والتراب الذي يمده بقُوْته الزهيد حتى يصل إلى هدفه، والوقت الضروري لوصوله، وكل ما عدا ذلك من قصور شامخات، ومن جامعات وطائرات، ليس إلا من المكتسبات، لا من العناصر الأولية.

والمجتمع الإنساني يمكنه أن يستغني وقتًا ما عن مكتسبات الحضارة، ولكنه لا يمكنه أن يتنازل عن هذه العناصر الثلاثة التي تمثل ثروته الأولية، دون أن يتنازل في الوقت نفسه عن جوهر حياته الاجتماعية).[١]

ومما سبق يتضح أن الموارد التي وهبها الله تعالى للعالم الإسلامي تحتاج إلى التنسيق والتعاضد، واستنفاد خبرات المختصين في حُسن استثمارها لخدمة أبناء العالم الإسلامي وتحقيق قوته، ليكون قوة عظمى تنافس الأمم الأخرى، وليكُون شاهدًا على الأمم بحاله وأفعاله.

(١) شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبور شاهين، تقديم: محمد همام، ص ٨٥.

المبحث الثالث
سبل تنمية مقومات العالم الإسلامي

في ظل التحول العالمي السريع، والتوجه المستمر نحو اكتشاف مصادر بديلة للطاقة، والسعي الحثيث الدؤوب نحو الابتكار والتنمية للموارد الطبيعية والبشرية، يظل العالم الإسلامي في حاجة ماسة للحفاظ على ثرواته وممتلكاته، واستمرارية تنميتها، بما يؤهله لتحقيق الكفاية لشعوبه، وتكوين التكتلات والتحالفات الاقتصادية والسياسية ذات التأثير العالمي.

ومن هنا أسعى في هذا المبحث إلى وضع المقترحات والتصورات الضرورية لتنمية تلك المقومات، كخطوة تحتاج إلى اشتقاق برامج عملية وخطط تنفيذية على المدى العاجل والآجل، لمواكبة هذا التطور والاحتياجات والتحديات المطلوبة على المستويين المحلي والإقليمي والعالمي.

وتظهر هذه العناصر للارتقاء بمقومات العالم الإسلامي من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
الإصلاح الفكري والروحي

التنمية الحقيقية تبدأ من القناعات الداخلية بضرورة استنفاد الطاقات والإمكانيات في استثمار ما وهبه الله للعالم الإسلامي من مقدرات وطاقات. وفي تصور الباحث أن الإصلاح الشامل يبدأ بتغيير القناعات والاعتماد على طاقات أبناء المجتمع الإسلامي في تنميته، وحسن الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين في بناء مجتمعاتهم، خاصة عقب الحروب والأزمات التي مروا بها. وأولى هذه الخطوات كالتالي:

أولا: إرادة التقدم وتحقيق الثقة بين الشعوب:

لم تكن مشكلة العالم الإسلامي في قلة موارده ولا ضعف مصادر القوة والريادة لديه؛

فالعزيمة الصادقة والإصرار على مواجهة التحديات هما العنصر الأساس في تحقيق قوة أي أمة؛ لأنهما الحافز لتماسك وتعاون المجتمعات، حتى وإن قلَّت فيها المصادر المادية.

وقد سأل (تسي كونغ) فيلسوفا من حكماء الصين عما لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الأمم، قائلا: (إذا كان لا بد أن نستغني عن أحد الشيئين . القُوت أو الثقة . فبأيهما نضحي؟

فأجاب الفيلسوف الصيني: (في هذه الحالة نستغني عن القوت؛ لأن الموت كان دائماً هو مصير الناس، ولكنهم إذا فقدوا الثقة لم يبق أيُّ أساس للدول). [١]

إن أول السبل التي تضع الأمة على طريق النهضة، هو "الإرادة"، إذِ البداية تأتي، قبل كل شيء، من هذه الرغبة القوية في البناء، وتحقيق التقدم، بحيث تشترك كافة مجتمعات العالم الإسلامي في هذه الإرادة، حتى تتحول إلى قناعة جماعية، تدفعه إلى الاستعداد لمواجهة التحديات، بل وإلى تجديد هذه الإرادة في كل مرحلة يقطعها، لأن كل خطوة ناجحة يحققها في هذه الطريق، إنما تعود إلى هذه الإرادة.

وعندما تتكاثر المهام التي يجب أن يضعها المجتمع في حسبانه، فإنه قد يستثقل ارتياد السبل الفاعلة لتحقيق تلك النهضة التي يرنو إليها، فتأتي الإرادة باعتبارها العامل الأكبر الذي يدفع المجتمع إلى تحصيل المراد في أقرب وقت، (أفلا ترى أن اليابان حتى سنة ١٨٦٨م كانوا أمة كسائر الأمم الشرقية الباقية على حالتها القديمة، فلمّا أرادوا اللحاق بالأمم العزيزة، تعلّموا علوم الأوربيين، وصنعوا صناعاتهم، واتَّسق لهم ذلك في خمسين سنة، وكل أمة من أمم الإسلام تريد أن تنهض، وتلحق بالأمم العزيزة، يمكنُها ذلك، مع بقائها متمسكة بدينها، كما أن اليابانيين تعلَّموا علوم الأوربيين كلها، وضارعوهم، ولم يقَصّروا في شيء عنهم، ولبثوا يابانيين، ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم... إن

(١) انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص ١٣٢ دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

مِلاك الأمر هو الإرادة، فمتى وُجِدَت الإرادة، وُجد الشيء المُراد).[١]

بيد أن هذه الإرادة لا تمتلئ النفوس بها من فراغ، وإنما تنبع من التعلق بالمكان الذي يريد أبناء المجتمع تحقيق النهضة على أرضه، إذْ إرادة الخير والنفع والتقدم إنما تكون لشيء محبوب، وإلا فما الذي يدفع أبناء المجتمع إلى أن يقدموا الخير والبذل والتضحية لرُقيّ مكان أو مجتمع لا يعنيهم أمره ولا حاضره ولا مستقبله!!! وقد أشار الطهطاوي لهذه العلاقة بين الإرادة وحب الوطن، قائلا: (وإرادة التمدن للوطن لا تنشأ إلا عن حبه من أهل الفِطَن).[٢]

ثانيا: الوعي المتكامل بطرق وآليات النهضة:

إذا اطمأنت المجتمعات المسلمة إلى قوة الإرادة وصدق العزيمة، فإنها تنتقل بعد ذلك إلى "الوعي" كعامل أساسي في وضع مجتمعات العالم الإسلامي على طريق الرقي والتقدم، وهذا الوعي لا يقتصر على تصورات ذهنية مجردة، أو حالة نفسية تنتاب المجتمعات لفترة من الوقت، لا تفتأ جذوتها أن تشتعل ثم تخفت مرة أخرى، إنها حالةُ يقَظةٍ دائمةٍ، تنتظم كافة الأنشطة اللازمة للتقدم، ليظهر هذا الوعي في صور شتى، منها: الوعي بضرورة هذه النهضة، والوعي بإمكانيات الأفراد والمؤسسات التي تحقق هذه النهضة، وتقدير ظروفها وطاقاتها النفسية والمادية، ودراستها جيدا، وكذا الوعي بهوية المجتمعات المسلمة وخصائصها ومقومات بقائها، والوعي بالأمراض الاجتماعية، وكيفية التعافي منها.

---

(١) لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟ الأمير شكيب أرسلان، تقديم: سامر عبدالرحمن رشواني، ص٦٠ بتصرف واختصار، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

(٢) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة الطهطاوي، تقديم: عبده إبراهيم علي، ص ١٣، مكتبة الإسكندرية ودار الكتاب المصري اللبناني ٢٠١٢م

وتأتي أهمية هذا الوعي في كونه يرسخ في أذهان فئات المجتمع أن الرقي بالأمة ليس مجرد تخيلات ذهنية، أو نظريات غامضة، إنه ينطلق من الرغبة العميقة من كافة أبناء المجتمع، ليتخذ بعد ذلك الإجراءات العملية التي تحول هذه الرغبة إلى عمل يرى ماثلا للعيان، بعد أن كان تصورا في الأذهان.

ويأتي هذا الوعي عن طريق التأمل الذاتي في أحوال العالم الإسلامي ودراسة أطواره وتاريخه، إنه الوعي الذي يتشكل (على أساس من تاريخه، وتناقضاته، ومشكلاته، وبالتأثير على عوامل انحطاط المجتمع فيها، هذا الوعي الذي ينطلق كالشرارة في المجتمع، فيجذب أنظار المواهب، والأبطال، والتاريخ، والجهود إليها، هذه الشرارة هي الوعي المقترن بالعشق والإيمان، وهو نوع من الوعي الذي يحدث فيُخَلِّصُ المجتمع، الذي كان قد توقف عدة مئات من السنين، مما حل به من نكبات... ويقضي على كل الأشياء التي كان قد اشتد رسوخها في علاقاته الاجتماعية **قرابة الألف سنة**)؛[1] ليصنع جيلا جديدا في أفكاره وظاهره وباطنه، يشبه البذرة الجديدة التي تنبت نباتا حسنا في أجواء قاربت الهلاك.

إن هذا الوعي سيعطي إشارة البدء في عملية النهوض بالمجتمع، أو إعادة التأهيل الداخلي لأفراد المجتمع، كي يكونوا على المستوى المطلوب لإنجاز هذه المهمة، كما أنه يدفع الأمة إلى تقدير المدة المفترضة لهذه التقدم؛ حتى لا تصدر هذه الخطط عن عشوائية في الفكر أو خلل في الرأي.

ثالثا: العناية بالإنسان:

إن النظر إلى الأشياء الضرورية لتنمية وتقدم العالم الإسلامي، دون الاهتمام بتأهيل

(١) العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم: زكي الميلاد، ص٧٤ بتصرف واختصار، مرجع سابق.

الإنسان الذي سيقوم بهذه التنمية، سبب رئيس في التراجع الحضاري للمجتمعات المسلمة، (وطالما ظل مجتمعنا عاجزًا عن تصفية هذه الوراثة السلبية التي أسقطته منذ ستة قرون، وما دام متقاعسا عن تجديد كيان الإنسان طبقًا للتعاليم الإسلامية الحقة، ومناهج العلم الحديثة، فإن سعيه إلى توازن جديد لحياته وتركيب جديد لتاريخه سيكون باطلًا عديم الجدوى.

إن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعد خطرًا في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق كثيرًا من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق، وإنسان ما بعد الموحدين في أية صورة كان – باشا أو عالمًا مزيفًا أو مثقفًا مزيفًا أو متسولًا – يعد عمومًا عنصرًا جوهريًّا فيما يضم العالم الإسلامي من مشكلات منذ أفول حضارته، وهو عنصر لا ينبغي أن يغيب عن أنظارنا عندما ندرس نشأة المشكلات وحلولها التي تشغل اليوم – فيما يبدو – الضمير الإسلامي).[1]

فالعناية بالإنسان صانع التقدم، وأفكاره وأخلاقه، له أعظم الأثر في وضع المجتمعات الإسلامية على طريق التقدم، وبالعكس، فإن تجاهل إعداد الإنسان في هذه العملية الخطيرة – أعني عملية التنمية والتقدم –، تعد من كبريات القعود بالمجتمعات عن ارتياد سبل التنمية.

رابعا: تجسير العلاقة بين الدين والعلم

حين فهم المسلمون توجيهات دينهم العظيم، أقاموا حضارة عالمية أفادت البشرية وأهدت العالم في حينها المنهج العلمي، الذي تلقفه الغرب وانطلقوا منه في استكمال مسيرة العلوم والتجارب وصولا إلى الحقائق العلمية وعصر الثورة.

وقد شهد مثقفو الغرب ومؤرخوهم بهذه الحالة التي كان عليها الغرب والمسلمون

---

(١) وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، تقديم: عمار الطالبي، ص٤٠، مرجع سابق.

والأثر الثقافي لحضارة المسلمين في بلاد أوربا، (ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حالة أوربا حينما أدخلوا الحضارة إليها، إذا رجعنا إلى القرن التاسع والعاشر من الميلاد حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا ساطعة جداً رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها رجال متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرءون... ودامت همجية أوربا حتى القرن الحادي عشر والثاني عشر حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم، ودخلت العلوم أوربا من إسبانيا وصقلية وإيطاليا، وذلك أن مكتباً للمترجمين في طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠م بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون، ولم يتوان الغرب في أمر هذه الترجمة)[١].

ولم يكن لهذا النهم المعرفي، والانطلاق في فجاج الأرض بحثا عن العلم والمعرفة، ليظهر عند العرب؛ لولا توجيهات الإسلام للنظر في الآفاق والأنفس والانطلاق نحو الكشف عن أسرار الله في خلقه وكونه والاعتبار والاستفادة مما خلَّفه السابقون، وفق معايير الإسلام وعقيدته وأخلاقه؛ إذ لم يكن لهم أثر يُذكر في الثقافة الإنسانية قبل ظهور الإسلام.

لقد اشتهر عن (العرب أنهم فاقوا آباءهم وأجدادهم إيغالاً في الشرك والوثنية، وانقضى عليهم، وهم على هذه الحالة، عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بفعل غرائزهم وأخلاقهم إلى تبديل حالهم وتحسين شأنهم.

هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية، إلى أن صاح فيهم نفير الإسلام، فاستطاع محمد . ﷺ .، وهو يبشر بالوحدانية تبشيراً عارياً عن زخارف الطقوس والأباطيل، أن يستثير، حق الاستثارة، من نفوس العرب الغيرة الدينية، وهي الغيرة الكامنة المتمكنة على الدوام في كل شعب من الشعوب السامية، وذهب العرب لنصرة دعوة ابن عبد الله، من

(١) حضارة العرب/غوستاف لوبون ص٥٦٦،٥٦٧ بتصرف ترجمة عادل زعيتر طبعة مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م.

بعد ما ذهبت من صدورهم الإحن المزمنة، والعداوات الشديدة التي كان من شأنها من قبل الذهاب بحولهم وقوتهم، وانضم بعضهم إلى بعض كالبنيان المرصوص تحت لواء الرسالة، في رأسه نور للناس وهدى للعالمين، وأخذوا يتدفقون تدفق السيل من صحاريهم في شبه الجزيرة، ليفتحوا بلاد الإله الأحد الفرد الصمد). (١)

إذًا، يرجع التحول نحو الحضارة في حياة المجتمع الإسلامي الأول إلى اعتناقهم الإسلام وفهمهم العميق لرسالته، وغايته وقيمه الإنسانية الرفيعة الدافعة للتقدم والرقي، ولا يُعقَل أن تكون تلك المبادئ السامية والعقيدة الصافية التي أنتجت حضارة المسلمين بالأمس، هي ذاتها المؤثرة في تخلفها وشتاتها اليوم!

إلا أن تكون النتيجة الحتمية تقضي بأن السبب الرئيس في هذا الإخفاق الحضاري، هو البعد عن رسالة الإسلام وإقامة العوائق المانعة من الالتقاء بين الدين والعلم، وتكثيف الجهود لإقناع الجماهير المسلمة بضرورة التخلي عن الدين أو حصره في نطاق ضيق، كشرط أساس للتقدم واللحاق بركب الحضارة.

لقد أصبح مستقبل العالم الإسلامي مرهونا بتجسير العلاقة بين الإسلام وقيمه من جانب والعلوم من جانب آخر؛ إذ في ذلك ضبط لمنطلقات العلم وغايته حتى لا يند عن الأهداف المشروعة فيصبح أداة تدمير وتخريب، كما يُشاهد الآن في الحضارة المعاصرة المتقدمة في الجانب التقني والمادي، والمنحدرة في الجوانب الروحية والقيمية التي يحتاجها الإنسان لضبط وجهته ومعرفة غايته ورسالته في هذا الكون.

وفي ضوء ما سبق، يمكننا القول بأن الرغبة في التنمية وتصحيح الأخطاء القائمة هي أولى خطوات تنمية مقومات العالم الإسلامي، والتي تبدأ بتنسيق الجهود والإصلاح الفكري والروحي، لأنهما أساس النهضة والتقدم، وهما وقود الحضارة وتحقيق الرقي للمجتمع.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض، تقديم الأمير شكيب أرسلان ج١ ص٢ بتصرف، دار الفكر بيروت، ط. ثالثة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

وكذلك، فالعالم الإسلامي المعاصر في حاجة إلى تنسيق الجهود على مستوى دولِهِ؛ لإحداث وحدة فكرية، مع اعتبار الخصوصيات المحلية لكل دولة في ذاتها، لكن هذا لا يمنع الاتفاق على الملامح العامة التي ترسم خطة للتضامن الروحي والفكري الإسلامي، بحيث لا يشذ عنها مجتمع مسلم.

كذلك لا ينبغي أن نغفل بناء الثقة بين أفراد المجتمع، بل وبين الأفراد ومؤسساتهم، ذلك أن عادة كل أمة في تضافر أبنائها والتفافهم حول غاية شريفة واضحة. فإذا دبت الخلافات وضعفت الثقة بين قطاعات أبناء المجتمع الواحد، فضلاً عن مجتمعات الأمة الواحدة، كان ذلك إيذانًا بالشتات والخلاف، ودافعًا إلى انقضاض الأعداء على الأمة الإسلامية.

ومن الخطوات المهمة استنفاد الطاقات الذاتية في تحقيق هذا النهوض، إذ لا يمكن استيراد أفكار تختلف في طبيعتها ومضمونها في النهوض بالعالم الإسلامي، لأن الحضارة القائمة تضن بأفكارها التقدمية على المجتمعات المغايرة لها في ثقافتها ومبادئها. فإن وهبتنا بعض منتجات الحضارة، فإنها لا تهبنا أفكار هذه الحضارة وهذا التقدم العلمي والمادي.

وعليه، فإن المجتمع الإسلامي لا بد أن ينسق جهوده ويستنفر طاقات علمائه والمتخصصين فيه لوضع خطط شاملة للارتقاء بالمقومات التي وهبها الله إياه، وفي القلب منها العنصر البشري وتنمية ثقافته بحسن تدريبه والتخطيط للاستفادة من هذه الجهود، وهذا ما سيجليه المطلب القادم.

المطلب الثاني

تحقيق التكامل بين شعوب العالم الإسلامي

بعد أن يقوم أبناء المجتمع الإسلامي بتهيئة الأجواء الداخلية لخوض طريق التنمية، وتجديد الأفكار المرتبطة بها وإزالة الموانع النفسية والفكرية التي تحول بينه وبين هذه الطريق، تأتي ضرورة العمل المشترك والتنسيق المتبادل، لأن مصير أبناء الشعوب الإسلامية كان مرتبطا بالأحداث والمؤثرات التي تنزل بأحد أقطاره، فقد واجهوا وحدة المصير في أغلب فترات التاريخ، حتى في العصر الحديث حين تكالبت القوى الاستعمارية على بلدان العالم الإسلامي، فاقتسمت أراضيه للسطو عليها فيما عُرف بمؤتمر برلين ١٨٨٥م. (١)

والعاصم من تكالب القوى المعادية للعالم الإسلامي، هو الوحدة والتعاون وإنشاء التحالفات والتكتلات الدولية التي تقف حائلا في وجه المطامع المستمرة، التي تتلون

(١) مؤتمر استعماري عقد في برلين لوضع سياسة تقاسم القارة الإفريقية بين الدول الأوروبية الكبرى وقد عقد هذا المؤتمر بعد سلسلة مفاوضات (١٥ تشرين الثاني – نوفمبر، ١٨٨٤ – ٢٦ شباط – فبراير (١٨٨٥)، جرت في برلين، برئاسة المستشار الألماني أوتو فون بسمارك، حضرته دول أوروبا العظمى (النمسا، هنغاريا، فرنسا، ألمانيا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، روسيا) بالإضافة إلى الولايات المتحدة وإسبانيا والبرتغال والسويد والترويج والدانمارك وبلجيكا وهولندا، والسلطنة العثمانية. التقت جميعها لتقرير مستقبل إفريقيا السوداء بصورة عامة، وحوض الكونغو في وسط إفريقيا بصورة خاصة. وقد اقترحت البرتغال ضرورة عقد هذا المؤتمر لمتابعة طلبها الخاص المتعلق بمراقبة مصب نهر الكونغو. وفي حين أبدت فرنسا وألمانيا استعدادهما لحضور المؤتمر، فإن بريطانيا أبدت من جهتها حماساً خاصاً للمسألة، فتوجب عندئذ عقد المؤتمر بسبب الحسد والشكوك التي تبادلتها دول أوروبا فيما بينها بصدد التوسع الاستعماري في أفريقيا. (موسوعة السياسة، د/ عبد الوهاب الكيالي، بمساعدة فريق عمل، ج١ ص ٥٢٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ط. أولى د.ت.

وتتستر في ثياب متنوعة؛ ذلك أن الوحوش الكاسرة لن تغير طريقتها في الانقضاض على فريستها لكونها وضعت مخالبها في قفازات من حرير، والله تعالى يقول محذرا عباده المؤمنين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ (١)

ونظرا لما تشكله هذه التحالفات من آثار مهمة للشعوب والدول، نجد أنها اتخذت أنماطا متنوعة، فعلى سبيل المثال (معاهدة الحلف المقدس لعام ١٨١٥ وميثاق الأطلسي عام ١٩٤٩ وربما حلف وارسو لعام ١٩٥٥ مثال جيد لتحالف أيديولوجي، فكل من هذه الوثائق يضع مبادئ عقائدية عامة التزم المتعاقدون باحترامها وصيانتها، ومن الممكن القول هنا أن ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع المشترك الناتج عن تجربتها الأولى . المبرم عام ١٩٥٠. يعتبر مثالا للتضامن العقدي العربي المفترض ضد إسرائيل باعتبارها تمثل، عدوا حضاريا.

وأحيانا تندمج الالتزامات الأيديولوجية بالالتزامات المادية في معاهدة التحالف ومثال ذلك تحالف الأباطرة الثلاث عام ١٨٧٣ الذي نص على التعاون العسكري بين النمسا وألمانيا وروسيا في حالة وقوع عدوان على إحداها. وفي الوقت نفسه أكد الملوك المتعاقدون تضامنهم ضد احتمال التخريب من الجمهوريات المجاورة، والشيء ذاته يمكن أن يقال بالنسبة للأحلاف القائمة ضد الشيوعية في أيامنا). (٢)

ولتحقيق التكامل بين الشعوب ودول العالم الإسلامي نحتاج إلى الآتي:

١ـ تفعيل الوحدة الإسلامية:

بالنظر إلى واقع المذهبيات في العالم الإسلامي، والعمل على توحيد صف الأمة تجاه القضايا المصيرية نجد أن خفوت التحاور الجاد بين شعوب العالم الإسلامي ودوله

---

(١) سورة البقرة، من الآية رقم ٢١٧.

(٢) الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، د/ محمد عزيز شكري، ص١٤ سلسلة عالم المعرفة، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد السابع ١٩٧٨م.

قد أدى (إلى جدل عقيم يستهدف تسجيل النقاط لا الوصول إلى الحقيقة، فتجمدت لديهم حركة الفكر في مواقع النقد لما عندهم بفعل الخوف من العامة، إلى جانب الشعور بأن قضية التغيير لحساب الفريق الآخر تجعلهم في مواقع الضعف بالنسبة إلى القضايا الأخرى، وعادت العصبية تحكم الحالة العلمية لتكون مبررا لها بدلاً من أن يكون العلم هو الذي يقضي عليها.. وانتصبت الحواجز النفسية حتى لم بعد هناك مجال نفسي للتواصل الواقعي إلا من خلال المجاملات الاستعراضية فيما بينهم، عندما يلتقون على شعارات الوحدة ليرجعوا بعد ذلك، إلى أحقادهم وعصبياتهم سالمين، وفي هذا الجو بدأ الاستعمار يلعب لعبته الشيطانية في التحرك على التناقضات والحساسيات المذهبية التي بدأت تتحول في حركة الواقع إلى أدوات سياسية للحرب الطائفية بين المسلمين على مستوى القضايا الداخلية والخارجية...وهكذا استطاع الاستعمار أن يؤمن لنفسه ومواقعه الداخلية من عملائه الأمن والراحة لأن الخلافات الطائفية أصبحت تكفل له ذلك، مما جعل البلاد الإسلامية تقع في قبضة الاستعمار في كل مواردها ومصادرها ومجالاتها الخاصة والعامة). [١]

لقد عبر القرآن المجيد عن وَحدة الأمة الإسلامية في معرض التذكير بنعمة الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[٢]، وقال جل شأنه ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣] كما أخبر القرآن الكريم عن حال المشركين وأنهم متعاضدون يوالون بعضهم بعضا ويتظاهرون على عداوة المسلمين، وحذر المسلمين أن يكون عدوهم على هذه الحال من التناصر، ولا يسلكون مسلك التناصر

(١) من الواقع القائم في العالم الإسلامي، محمد حسين فضل الله، مجلة العرفان، صادرة في صيدا لبنان، المجلد ٧٣ العددان ١، ٢ ص ٧، ٨ باختصار، مارس ١٩٨٥.

(٢) سورة آل عمران، من الآية:(١٠٣).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٩٢).

والوحدة والتعاون فيما بينهم، فهم أولى بذلك، قال جل شأنه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾[1]؛ ولمكانة هذا التعاضد أخبر رسولنا الكريم ﷺ أن الأمة كالجسد الواحد. [2]

ويذكر الإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ بعضا من الأثر الحاصل لتفرق المسلمين وضعفهم، قائلا: (إن لم تفعلوا ما أمرتكم به في هذه التفاصيل المذكورة المتقدمة تحصل فتنة في الأرض، ومفسدة عظيمة، وبيان هذه الفتنة والفساد من وجوه: الأول: أن المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة عددهم، وزمان قوة الكفار وكثرة عددهم، فربما صارت تلك المخالطة سبباً لالتحاق المسلم بالكفار. الثاني: أن المسلمين لو كانوا متفرقين لم يظهر منهم جمع عظيم، فيصير ذلك سبباً لجراءة الكفار عليهم. الثالث: أنه إذا كان جمع المسلمين كل يوم في الزيادة في العدد والعدة، صار ذلك سبباً لمزيد رغبتهم فيما هم فيه ورغبة المخالف في الالتحاق بهم). [3]

٢ـ تفعيل الحماية المشتركة بين شعوب العالم الإسلامي:

تتنوع التحالفات والكيانات في العالم المعاصر، بعد أن أدركت الأمم والشعوب الحاجة الواقعية لتلك التحالفات في أعقاب الحربين العالميتين اللتين أحدثتا تغيرات سياسية واقتصادية على جميع الشعوب والدول، ما يعني بضرورة الانتظام في تحالفات دفاعية مشتركة، تضمن توازن القُوى وإيقاف من تغريه نفسه بالاعتداء على الآمنين أو تكدير

(١) سورة الأنفال، الآية: (٧٣).

(٢) الحديث سبق ذكره وتخريجه في ص ١١

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ج١٥ ص١٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

السلام العالمي للأمم، (فالحديث عن الوحدات السياسية المكونة للعالم المعاصر لا يكتمل من دون ذكر الأحلاف والتكتلات العسكرية؛ إذ إن هذه الأحلاف العسكرية هي أيضًا وحدات سياسية لها أهمية خاصة في مجرى السياسة الدولية، ولها انعكاسات بالغة على أمن واستقرار العالم بأكمله، ولقد برزت الأحلاف العسكرية الكبرى بشكل متزايد خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

إنَّ هذه التكتلات هي شكل من أشكال التعاون السياسي والعسكري بين الدول، والتي تهدف في الأساس إلى الاستعداد لصد عدوان محتمل، أو ربما الإعداد لشن حرب على عدو قائم، فالركيزة الأولية للأحلاف العسكرية الحديثة هي وجود قوة عسكرية، ووجود تضامن سياسي، يكفلان للدول الأعضاء فيها الحماية الجماعية دون أي عدوان).[١]

والأمة الإسلامية ليست بدعا من غيرها من الأمم المحيطة التي انسجمت في كيانات اقتصادية وتحالفات سياسية ودفاعية، لأنها استفادت من تجاربها المريرة التي خاضتها في التاريخ المعاصر التي ألجأتها لقيمة التعاون والدفاع المشترك، وأهميته في الردع وتوازن القوى الكونية، ولا نشعر بغرابة هذا الاستعداد والتحالف، ففي كتاب ربنا سبحانه توجيه صريح للمؤمنين بأخذ الحيطة والحذر واستنفاد الإمكانات المتاحة في التأهب للعدو الذي يتربص بالمؤمنين، لا للمبادرة بالاعتداء أو الاغترار بالقوة والبطش بالأبرياء؛ وإنما لإحداث توازن القوى والردع الخارجي، وذلك عن طريق (تنسيق المجهود العسكري بين بلاد الأمة الإسلامية في جميع المجالات، والاتفاق على الدفاع المشترك، بحيث يصبح الاعتداء على أي قطر إسلامي اعتداء عليها جميعا، مما يوجب النجدة وصد العدوان) [٢].

---

(١) العالم المعاصر والصراعات الدولية، د/ عبد الخالق عبد الله، ص٣٢-٣٣، بتصرف، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، عدد ١٣٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٢) الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ محمد الغزالي، ص١٧٠، نهضة مصر، ٢٠٠٥م.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١)

٣ـ زيادة حجم التبادل الاقتصادي والتجارة بين دول العالم الإسلامي:

يحتاج العالم الإسلامي إلى إجراءات اقتصادية تنسق التبادل التجاري ونقل السلع والخدمات والاستثمارات في مرونة وقواعد واضحة، تحقق أمن واحتياجات شعوبه، ومن الخطوات المهمة في هذا الشأن:

أولا: تحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي بين دول العالم الإسلامي: توفير عنصر الغذاء هو الأساس الذي تقوم عليه التنمية، إذ لا يُتصور وجود صناعة ولا تجارة دون زراعة، فالغذاء والحصول عليه عن طريق الزراعة أصل للتنمية، وينبغي التنسيق التام لإحداث هذه النقلية نوعية في إنتاج الغذاء وتصنيعه وتجفيفه، لأن من يملك قُوْته يملك قُوَّته، ومن الخطوات التي تساعد في تطوير وتنمية الزراعة في الوطن الإسلامي:

١. اتباع سياسة تكامل زراعي متناسق على مستوى الدول، حيث تتخصص كل دولة في إنتاج نوع من المنتجات الزراعية التي تستطيع إنتاجه بأقل التكاليف وتزويد الدول الأخرى به، وهذا يعتمد على أساس دراسة الظروف الطبيعة السائدة والموارد المائية والأرضية والطاقة البشرية.

٢. إنشاء صندوق اسلامي لتقديم الفروض والمعونات للمشاريع الزراعية الكبيرة وللمزارعين بما في ذلك تدريب العمالة.

٣. إقامة جهاز إسلامي لحصر الأرض القابلة للزراعة، وغير المستغلة ودراسة مشروعات استصلاح الأراضي والري والصرف وتدريب الفنيين.

---

(١) سورة الأنفال الآية رقم ٦٠

٤- تنسيق الجهود في الدول الاسلامية والتعاون في مجالات البحوث العلمية الزراعية وذلك بإنشاء معاهد بحوث وانشاء فروع لها في الدول الاسلامية ونقل نتائج الابحاث بصورة مبسطة الى المزارعين عن طريق اجهزة الارشاد الزراعي.

٥- استخدام التكنولوجيا الحديثة لتطوير اساليب الزراعة وتدريب المزارعين على استخدامها.

٦- دراسة العوامل الكفيلة بوقف زحف الصحراء على الأرض الزراعية.(١)

ثانيا: إعادة النظر في التعريفات الجمركية بين دول العالم الإسلامي: كنوع من تسهيل انتقال المنتجات والخدمات ومستلزمات الإنتاج بين الدول في ظل الانفتاح الاقتصادي والعولمة.

ثالثا: تعظيم الاستفادة من خبرات وطاقات أبناء العالم الإسلامي، فهم أولى بالحصول على العمل وكفالة العيش الكريم لهم ولذويهم، مع ضرورة التأكيد على الأجر العادل لهم وعدم المماطلة في أداء حقوقهم المشروعة التي كفلها الإسلام للعامل، والرسول ﷺ يقول في الحديث: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه).(٢)

رابعا: توفير الفرص اللازمة لجذب وتبادل الاستثمار بين دول العالم الإسلامي:

وهذه خطوة ضرورية في سبيل تحقيق للاستقلال الاقتصادي والذي دائما ما يرتبط بالقرارات المصيرية وسيادة الدول على أراضيها؛ ذلك أن الاستثمار الأجنبي له مخاطره وتأثيره على القرارات والتوجهات السياسية، مما يعرقل استقلالية الأمة في قراراتها.

وينبغي التنسيق بين دول العالم الإسلامي لتحقيق إصلاحات مدروسة في هذا

---

(١) تنمية الزراعة في العالم الإسلامي، ندوة منشورة في مجلة الفيصل ص ٥٤، ٥٥ تصدر عن دار الفيصل الثقافية، السعودية، العدد التاسع فبراير ١٩٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الرهون، باب: أجر الأجراء برقم (٢٤٤٣) ٥١١/٣ من حديث عبد الله بن عمر. السنن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، وآخرَيْن، دار الرسالة العالمية ط. أولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، وقال محققوه: حسن لغيره.

الجانب تعمل على تهيئة البيئة الموائمة للاستثمار، (وتشمل هذه الخطة الجوانب: السياسية، والتشريعية، والمعلوماتية.....إلخ

– فلا شك أن المزيد من الإصلاحات السياسية، والتشاور مع المواطنين، سيشكل أرضية صلبة لعودة الأموال المهاجرة من الخارج، وكذلك الحرية المنضبطة للفكر، وحرية الإعلام والصحافة، وحرية الرأي الآخر، وكذلك في المزيد من الإصلاحات القانونية والتشريعية، واتفاقيات منع الازدواج الضريبي في البلدان العربية، وتطبيق هذه الإصلاحات على أرض الواقع سيكون له مردود إيجابي.

– الاهتمام بوجود قاعدة بيانات دقيقة، يستطيع المستثمر الاعتماد والاسترشاد بها.

– دعم المؤسسات والهيئات غير الحكومية من قبل الحكومات العربية؛ لدعم الاستثمار مثل: الغرف التجارية والصناعية، جمعيات رجال الأعمال، المنتديات الفكرية والعلمية وغيرها)[1].

وهكذا حين تتاح الرغبة الصادقة في تحقيق التكامل بين أبناء الأمة الواحدة التي تؤمن برسالتها حق الإيمان، وتتذر جهودها كافة لحماية الشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام؛ فإنها لن تعدم التطوير والوصول للريادة والمنافسة، في عالم لا يقيم للضعفاء وزنا، وينبغي أن يحدونا الأمل في وعد الله تعالى واستجلاب نصره ومعيته، فهو سبحانه القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[2]

(١) هجرة رؤوس الأموال الإسلامية إلى الخارج في ظل العولمة "الحالة العربية"، د/ عادل حميد يعقوب عبد العال، ص٢٢، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث للاقتصاد الإسلامي كلية الشريعة . جامعة أم القرى مكة المكرمة، محرم ١٤٢٤ هـ.

(٢) سورة . سيدنا . محمد الآية رقم ٧

الخـاتمة

النتائج:

بحمد الله تعالى أَنظِم عددا من النتائج التي توصل إليها البحث، كالتالي:

١. مركزية موقع العالم الإسلامي في قلب بين دول العالم، أكسبته أهمية بالغة في التأثير على مجريات الأحداث قديما وحديثا.

٢. الطاقات البشرية الهائلة في العالم الإسلامي تمثل عنصر قوة عند وضع الخطط اللازمة للإفادة منها على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

٣. التجارب المعاصرة لدول العالم الإسلامي مع الاستعمار ومجابهة القُوى العالمية، دافع واقعي لتحقيق الأخوة الإسلامية على شتى المستويات والأصعدة.

٤. من جوانب تفرُّدِ العالم الإسلامي عن سائر الكيانات الدولية الأخرى، شرفُ حمله لرسالة الإسلام، واستعداده لتثبيت دعائم هويته، دون التشبث بالجوانب المادية من الحضارة المعاصرة.

٥. يمتلك العالم الإسلامي مؤهلات التنافس العالمي والتأثير في السياسة.

٦. تأثير العالم الإسلامي في القرارات الدولية مرهون بتنمية مواطن قوته ومنها الجانب الروحي الذي يمد الجوانب الأخرى بما تحتاجه من عناصر للتنمية.

التوصيات: يوصي الباحث بضرورة الآتي:

١. التتبع النمو السكاني لدول العالم الإسلامي، وتحليل دلالاته وكيفية استثماره لصالح سكان العالم ككل.

٢. التذكير الدائم بتميز العالم الإسلامي، والعمل الدؤوب في كافة القطاعات للاضطلاع بأعباء خيرية الأمة الشاهدة.

٣. التنسيق المستمر بين شعوب العالم الإسلامي لحماية مقومات الأمة وهويتها ومقدساتها.

المراجع والمصادر

القرآن ذو الذِّكر، كتاب الله تعالى.

١- الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، د/ محمد عزيز شكري، سلسلة عالم المعرفة، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد السابع ١٩٧٨م.

٢- الإسلام والطاقات المعطلة، الشيخ محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٣- الأعمال المختارة لمحمد خانجيتش البوسنوي، محمد خانجيتش، ترجمة: عبدالرحيم ياقدي، اختيار وتقديم: أسعد دوراكوفيتش، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٤- البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ط. أولى ٢٠٠٠م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية د.ت أو رقم طبعة.

٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

٧- تقرير علمي منشور بعنوان: Why Muslims are the world's fastest growing religious group, by Michael Lipka and Conrad Hackett p بتاريخ ٢٠١٧/٤/٦م، على الرابط https://web.archive.org/web/٢٠١٩٠٥١٤١٢٣٥٥٩/https://www.pewresearch.org/fact-tank/٢٠١٧/٠٤/٠٦/why-muslims-are-the-

worlds-fastest-growing-religious-group/

٨- التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي، د/ محمد عبد الحليم عمر،، ضمن أبحاث ووقائع مؤتمر "مستقبل الأمة الإسلامية" المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، في الفترة ١١.٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ/ ١٢.٩ مايو ٢٠٠٣م.

٩- تنمية الزراعة في العالم الإسلامي، ندوة منشورة في مجلة الفيصل تصدر عن دار الفيصل الثقافية، السعودية، العدد التاسع فبراير ١٩٧٨.

١٠- التوقيف على مهمات التعاريف، للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت دمشق، ط. أولى ١٤١٠هـ.

١١- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، د/ جميل عبد الله المصري، دار أم القرى ط. ثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

١٢- حاضر العالم الإسلامي، د/ تاج السر أحمد حران، شبيليا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، ط. أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣- حاضر العالم الإسلامي، د/علي جريشة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م

١٤- حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض، تقديم الأمير شكيب أرسلان دار الفكر بيروت، ط. ثالثة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٥- حضارة العرب/غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر طبعة مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠م.

١٦- خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، محمد باشا المخزومي، تقديم: منى أبو زيد، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

١٧- الخروج من الأزمة، إكمال الدين إحسان أوغلي، كراسات "مراصد" سلسلة تقارير

تصدر عن مكتبة الإسكندرية عدد ٢٢، لسنة ٢٠١٣م.
١٨- السنن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، وآخرَيْن، دار الرسالة العالمية ط. أولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، وقال محققوه: حسن لغيره.
١٩- شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبور شاهين، تقديم: محمد همام، دار الكتاب المصري اللبناني ومكتبة الإسكندرية٢٠١٢م.
٢٠- صحيح الإمام البخاري، المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أموره ﷺ وسننه وأيامه، دار طوق النجاة ط. أولى ١٤٢٢هـ.
٢١- صحيح الإمام مسلم، المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، ١٣٣٤هـ.
٢٢- العالم الإسلامي آفاق النهضة وعوامل البناء، تقرير ارتيادي سنوي يصدر عن مجلة البيان، الإصدار الرابع ١٤٢٨هـ، بحث بعنوان: ما بعد الحزبية، من فقه الضرورة في العمل الإسلامي، عبد العزيز كامل،
٢٣- العالم الإسلامي المعاصر، د. جمال حمدان، عالم الكتب، ط. أولى ١٩٧١م
٢٤- العالم المعاصر والصراعات الدولية، د/ عبد الخالق عبد الله، سلسلة عالم المعرفة، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، عدد ١٣٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٢٥- العودة إلى الذات، علي شريعتي، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، تقديم: زكي الميلاد، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ٢٠١١م.
٢٦- كيف تغير المشهد الديني العالمي من عام ٢٠١٠ إلى عام ٢٠٢٠ تقرير من إعداد/ كونراد هاكيت، مارسين ستوناوسكي، يونبينغ تونغ، ستيفاني كرامر، آن شي ودواليا

فهمي، تقرير صادر عن مركز بيو للأبحاث بتاريخ ٩/٦/ ٢٠٢٥م
٢٧- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر بيروت، ط. ثانية د.ت.
٢٨- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟ الأمير شكيب أرسلان، تقديم: سامر عبدالرحمن رشواني، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.
٢٩- المرشد الأمين للبنات والبنين، رفاعة الطهطاوي، تقديم: منى أبو زيد، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ٢٠١٢م.
٣٠- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، الشيخ محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. سابعة، ٢٠٠٥م.
٣١- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
٣٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط. أولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٣- معجم المصطلحات الجغرافية، بيار جورج، ترجمة د. حمد الطفيلي، مراجعة هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٣م، بدون رقم طبعة.
٣٤- مقال باللغة الإنجليزية منشور بعنوان
World's Muslim population more widespread than you might think
على الرابط: https://www.pewresearch.org/fact-tank/٢٠١٧/٠١/٣١/worlds-muslim-population-more-widespread-than-you-might-think/
٣٥- مقال بعنوان (الغارديان: الإسلام سيكون الديانة الأولى في العالم بحلول سنة

٢٠٦٠) تحرير: أمين زرواطي.
٣٦- مقال منشور باللغة الإنجليزية بعنوان:
Religion: Why faith is becoming more and more popular? على الرابط:- https://www.theguardian.com/news/٢٠١٨/aug/٢٧/religion-why-is-faith-growing-and-what-happens-next
٣٧- من الواقع القائم في العالم الإسلامي، محمد حسين فضل الله، مجلة العرفان، صادرة في صيدا لبنان، المجلد ٧٣ العددان ١، ٢ مارس ١٩٨٥.
٣٨- مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة الطهطاوي، تقديم: عبده إبراهيم علي، دار الكتاب المصري اللبناني ومكتبة الإسكندرية ٢٠١٢م.
٣٩- منهج البحث في العلوم الإسلامية، د/ محمد الدسوقي، دار الأوزاعي ط. أولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
٤٠- الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الخامس عشر، بحث بعنوان: الملامح العامة للجغرافيا الطبيعية للعالم الإسلامي، د/ عادل عبد السلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م
٤١- موسوعة السياسة، د/ عبد الوهاب الكيالي، بمساعدة فريق عمل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ط. أولى د.ت.
٤٢- الموقع الرسمي للموسوعة البريطانية . مصطلح العالم الإسلامي . على الرابط https://www.britannica.com/topic/Islamic-world
٤٣- النفط والعلاقات الدولية، وجهة نظر عربية، د/ محمد الرميحي ص١٤٤ سلسلة عالم المعرفة، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٥٢ لعام ١٩٨٢م
٤٤- هجرة رؤوس الأموال الإسلامية إلى الخارج في ظل العولمة "الحالة العربية"، د/

عادل حميد يعقوب عبد العال، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثالث للاقتصاد الإسلامي كلية الشريعة . جامعة أم القرى مكة المكرمة، محرم ١٤٢٤ هـ.

٤٥- وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبدالصبور شاهين، تقديم: عمار الطالبي، دار الكتاب المصري اللبناني، ومكتبة الإسكندرية ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م.

٤٦- الوحدة الإسلامية، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الرائد العربي، بيروت.

فهرس المحتويات

ملخص البحث ٢٦٢
المقدمة ٢٦٦
التمهيد: تحديد مدلولات مفردات البحث ٢٧١
المبحث الأول: العالم الإسلامي الحدود السياسية والموقع الجغرافي ٢٧٥
إشكالية التحديد الدقيق لدول العالم الإسلامي جغرافيا ٢٧٦
الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي ٢٧٦
أبعاد العالم الإسلامي ومساحته ٢٧٨
المبحث الثاني: مقومات العالم الإسلامي ٢٨١
المطلب الأول: المقومات الفكرية والروحية ٢٨٢
المطلب الثاني: المقومات البشرية للعالم الإسلامي ٢٩٢
المطلب الثالث: المقومات الاقتصادية للعالم الإسلامي ٢٩٩
المبحث الثالث: سبل تنمية مقومات العالم الإسلامي ٣٠٤
المطلب الأول: الإصلاح الفكري والروحي ٣٠٤
المطلب الثاني: تحقيق التكامل بين شعوب العالم الإسلامي ٣١٢
الخاتمة ٣٢٠
المراجع والمصادر ٣٢١
فهرس المحتويات ٣٢٧